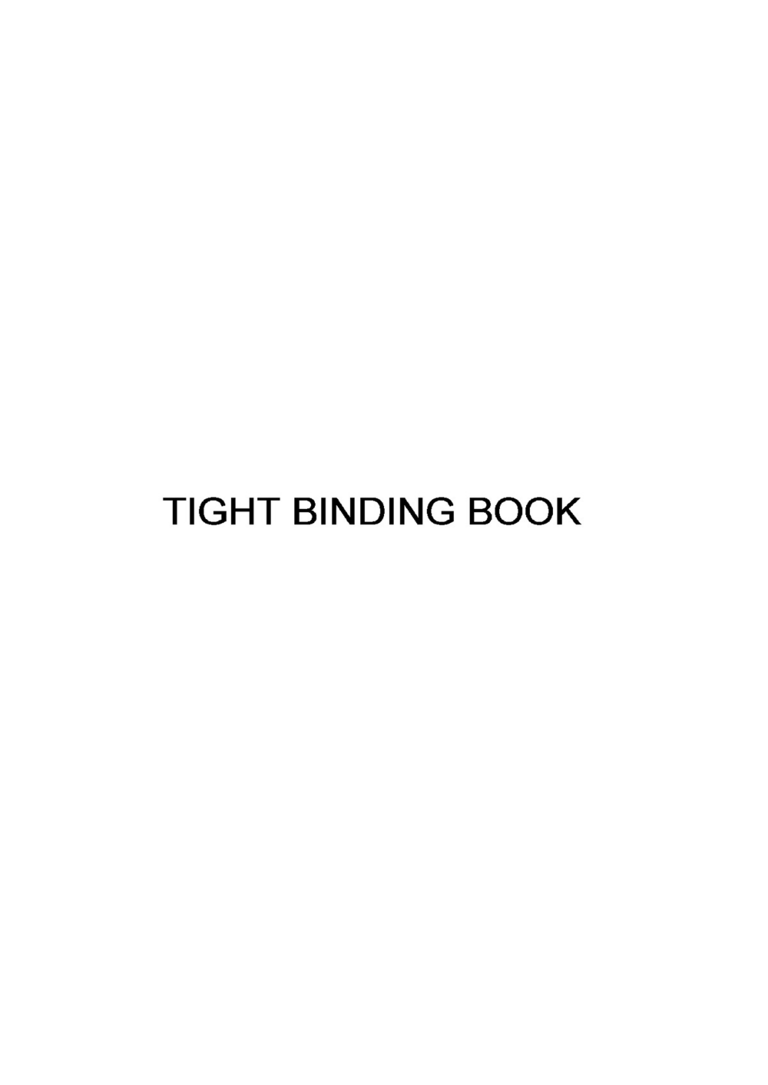
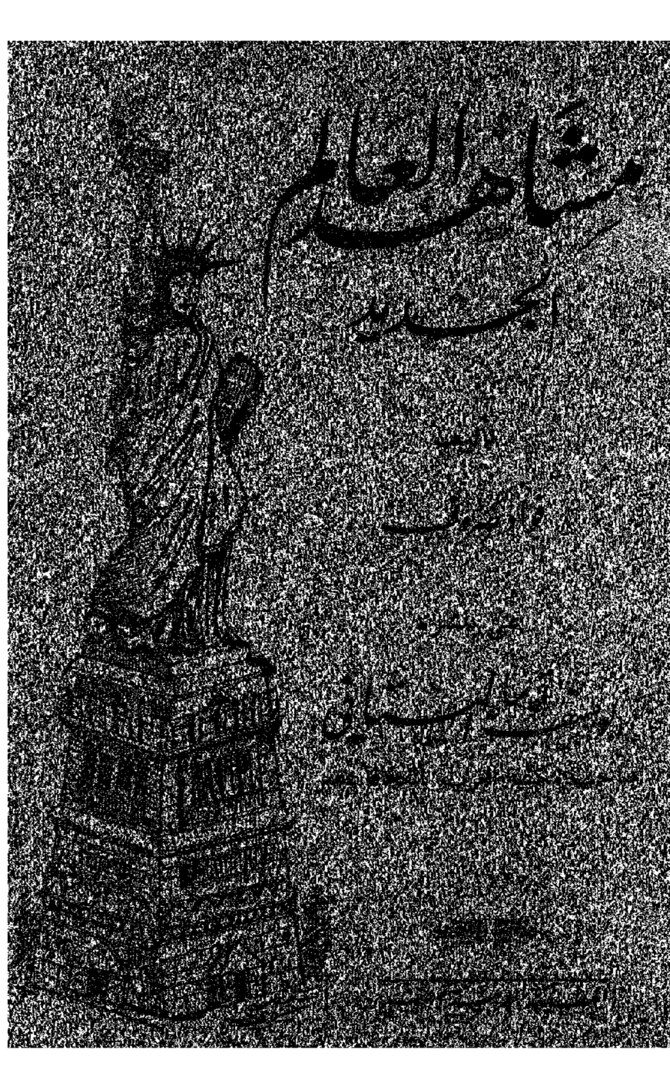


TIGHT BINDING BOOK




مشاهد العالم الجديد
تأليف
فؤاد صروف

مشاهد العالم الجديد

تأليف

فؤاد صروف

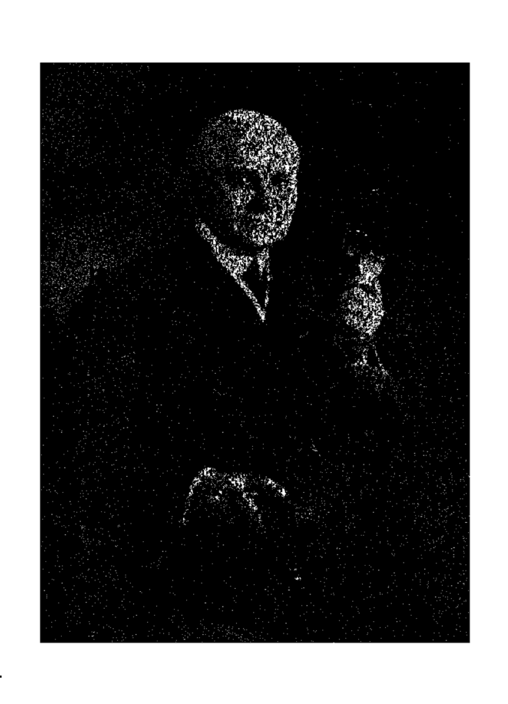
عني بنشره

يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

١٩٢٥ م

المطبعة العربية بمصر



Very Sincerely Yours,
J. Morton Howell.

صورة جناب الدكتور مورتن هاول التي تكرم باهدائها الينا لتصدير الكتاب بها

اهداء الكتاب

الى

عميد الديمقراطية الاميركية

فى الشرق الادنى

الدكتور جون مورتن هاول

الوزير المفوض للولايات المتحدة الاميركية

فى مصر

*

مقدمة

من القاهرة الى الاسكندرية حيث لا حديث للقوم إلا حديث الاعتداء الفظيع على دولة الرئيس الجليل ، الى مرسيليا وباريس حيث الانظار متجهة الى الشمال والقلوب واجمة وجوم الانتظار ترقب ما عسى ان يسفر عنه مؤتمر لندن وكيف تستقر حال هريو ومسألة التعويضات ، ثم على متن الباخرة اكويتانيا تلك المدينة الطافية الى نيويورك بابل الجديدة ، مدينة الجبال الشاهقة والجسور الحديدية المعلقة والاعمال المالية العظيمة والحركة الدائمة ، حيث تمتزج الصناعة والتجارة والسياسة والصحافة والملاهى فيخرج من الامتزاج خليط لا مثيل له في تاريخ الحضارات القديمة أو الحديثة ، الى شلالات نياغرا قبلة عشاق الطبيعة والمفتتنين بروعتها وجمالها ، الي ترنتو عروس الشمال حيث التأم مجمع تقدم العلوم

البريطاني فأم جلساته أعظم علماء الامبراطورية البريطانية ونخبة من علماء الولايات المتحدة الى مدينة ديترويت الفتية التي نشأت وتقدمت بنشوء صناعة السيارات واتساعها فارتقت في نحو عشرين سنة من لا شيء الى المقام الرابع بين مدن اميركا الكبرى واقترن اسمها باسم فورد وددج وعشرات أخرى من معامل السيارات الشهيرة ، الى وشنطن ندة باريس في الولايات المتحدة حاضرة الجمهورية العظيمة ومقر رؤسائها ومشترعيها ، مدينة الكابتول والبيت الابيض ومكتبة الكنغرس وتذكار لنكن والمعهد السمثحوني ومضرب الدولار ، ثم الى فلادلفيا المدينة التي أعلن فيها استقلال الولايات المتحدة ووقعت فيها وثيقته المشهورة ، مشاهد تعاقبت علي تعاقب الصور المتحركة على الستارة البيضاء فتركت فى نفسى آثارا أراها تزيد زهواً وجدة كلما انعقدت بيني وبينها الايام شهوراً ، وها أنا مدون بعضها في هذا الكتاب .

* * *

على ان لي كلمة بيان الفت اليها نظر القارىء الكريم وذلك ان هذا الكتاب ليس مذكرات يومية دونت فيها وصف المشاهد التي شاهدتها يوما يوما وما تركته من الاثر في نفسي بعد النظرة الاولى

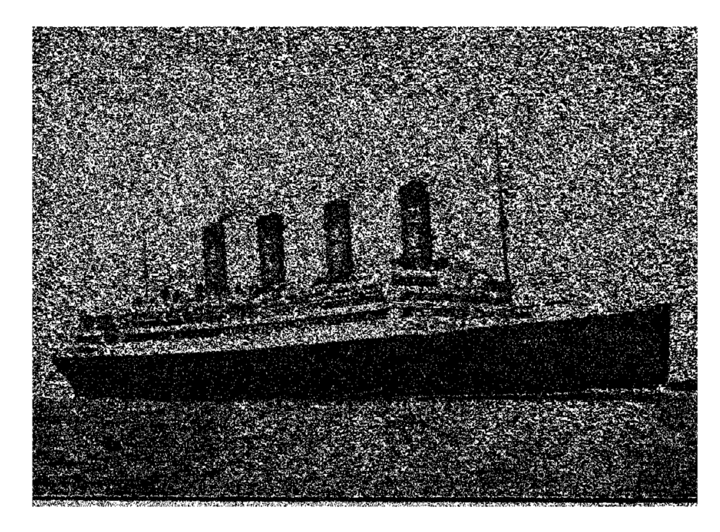
ولا هو دليل يتأبطه المسافر في نيويورك او دترويت أو وشنطن فيسير في شوارعها متأبطا شراً

ولا هو قاموس انسكلوبيذى أو دائرة معارف عن الولايات المتحدة واحوالها الاقتصادية والعمرانية لان ذلك فوق طاقتي وما مثلي في هذا الكتيب ازاء اميركا الا مثل واقف على شاطيء بحر المعرفة الزاخر وقد التقط من در حصبائه اصغرها

انما جل ما فيه بعض ذكريات من رحلتي الى العالم الجديد، المتجدد ابداً، دونت منها ما مكانته في نفسي مكانة القمم الشماء بين الآكام الجاثمة عند سفوحها، وقد ذكرت كلا منها في فصل على حدة وقرنت فيه ما شاهدته بنفسي بما عرفته بالدرس والمطالعة

فؤاد صروف





الباخرة «اكويتانيا»

*

الباخرة العجيبة

أقلتنا من شربورغ باخرة من بواخر شركة الكونارد الانكليزية التي تقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي بين أوربا واميركا، تدعى الاكويتانيا وهي في الحقيقة عجيبة من عجائب الصناعة والهندسة وفن سلك البحار . طولها يزيد على ٩٠٠ قدم وحمولتها ٤٦ الف طن وعلو سطحها الأعلى عن سطح الماء لا يقل عن ٧٠ قدماً ومتوسط سرعتها ٢٣ ميلا بحرياً في الساعة وقد بلغت سرعتها في يوم سكن فيه البحر وراقت السماء مايزيد على ٢٤ ميلا بحرياً علاوة على انها جمعت كل وسائل الراحة الحديثة التي يحتاج اليها ألفان أو ثلاثة آلاف من المسافرين يقضون نحو ستة أيام بين الماء والسماء . فهي من هذا القبيل نزل كبير فخم طاف على وجه الماء وأي نزل ترى فيه ماتراه في هذه الباخرة في الدرجتين الاولى والثانية من القاعات والصالونات المتسعة الفخمة المزخرفة ! فغرفة الطعام في الدرجة الاولى تسع نحو سبع مائة من الركاب في وقت واحد وهي

مزينة ومزخرفة بكل مايبهج القلب ويقر العين وفيها مطعم مفروش على طراز لويس السادس عشر يسع مائتي شخص. وغرفة الطعام في الدرجة الثانية لاتقل عن سابقتها اتساعاً وزخرفاً وفي كلتا الدرجتين غرف متسعة للقراءة والكتابة والتدخين ومختلف الالعاب.
وغرف النوم متسعة على قدر مايسمح به المكان وهي نظيفة سهلة التهوية في كل منها سريران. وفي الدرجة الاولى غرف كثيرة في كل منها سرير واحد وفيها أيضاً مجاميع من الغرف تؤجر للعائلات الثرية «كشفق» وكل منها مزخرف على طراز واحد من أساتذة الفن المشهورين كهوابين وفان ديك وريندلز وغنزبورو وغيرهم وفيها أمثلة من أشهر صورهم. وهنالك أيضاً فناء الالعاب الرياضية يحوي أكثر مانراه في دار ألعاب حديثة. وفيها بركة للسباحة مرصوفة بالآجر الابيض طولها ٣٣ قدما وعرضها ٢٥ قدما وعمقها يختلف من أربعة أقدام الى ستة وحوالي البركة ممر متسع مرصوف بالرخام الابيض وقد بنيت حوله غرف صغيرة يغير فيها المستحمون ثيابهم كما لو كانوا على شاطيء البحر وفيها أيضا بنك يقوم بجميع أعمال البنوك الكبيرة

هذا قليل من كثير عن الباخرة التي دعاها المرحوم لورد نورثكليف «الباخرة العجيبة» وقال عنها في مقالة نشرها فى الديلي ميل حينما سافر عليها قبيل وفاته «لايمكنك أن تجد مايضاهي

«الا كويتانيا » سواء فى البواخر السريعة التى تعبر الاتلنتيكي أو في أفخم الفنادق الامبركية لانك ترى فيها أقصى مابلغته حضارتنا من الفخامة والرفاهة والنظافة وحسن الترتيب والنظام »

جريدة يومية على متن الاقيانوس

ولعل ذلك مادفعه الى اصدار طبعة من جريدته الديلى ميل على ظهر هذه الباخره وقدعين لها محرراً من قبله يعني بتحريرها واصدارها

تصدر هذه الجريدة في الساعة الثامنة من صباح كل يوم ماعدا يوم الاحد في ١٢ صفحة بقطع اللطائف المصورة أو أكبر قليلا على ورق صقيل ناصع البياض وتنشر الاخبار السياسية والتجارية كما تصل اليها بالتلغراف اللاسلكي من اميركا وانكلترا وتباع بستة سنتات أو مايساوى غرشا مصريا ومليمين

وقد قرأت فيها قبيل كتابة هذه السطور نبأ قبول المسيو هريو باخلاء الرور اذا قدّمت فرنسا على سائر الحلفاء في قبض الغرامة التى لها على المانيا

لقيت محرر هذه الجريدة وهو شاب انكليزى اسمه المستر شارمان معين من قبل الديلى ميل بلندن وهو الذى اصدر النسخة الاولى من هذه الجريدة على متن الباخرة برنجاريا منذ سنتين ونضّدت حروفها باليد حينئذ

حادثه فعلمت منه ان مثل هذه الطبعة تصدر أيضاً فى سائر البواخر الكبرى التابعة لشركة كونارد كالبرنجاريا والمورتانيا وفى كل منها آلة ليتونيب انكليزية تنضد الحروف ومطبعةمسطحة

أما عدد النسخ التى تباع من الجريدة فيختلف باختلاف عدد الركاب المسافرين ولكنها لاتقل عن خمس مائة نسخـة فى اليوم وقد تزيد على الف

والمحرر عمل آخر غير تحريرهذهالجريدة وهومقابلةالمسافرين من ذوي المقام السياسى الكبير وارسال خلاصة المقابلة الى ادارة الديلي ميل بلندن لاسلكيا . قال لي المستر شارمان مابرحتالباخرة سوثمبتن حتى وصلتنى برقية من مكتبنا بلندنتقول انالسرصموئيل هور (السياسى الانكليزى وهو وزير الطيران الآن) مسافرعلي الباخرة اكويتانيا فقابله وحادثه في الموضوع الفلانى ففعلت

وهكذا نرى ان الصحافة الحديثة تغلغلت في جميع مسالك الحياة فيالقرن العشرين حتى لم تنجمنها السفنالتي تشق عبابالبم

* * *

وقد أتيحتليالعودة من نيويورك على متن الباخرة متجستك من بواخر شركة النجمالابيض وهيأكبر باخرة طافية لاتساويها سوى الباخرة الاميركية لوياثان وأصحاب كل منها يدعي لباخرته

السبق على الاخرى . وكلتاالباخرتين من أصل ألمانى . فالمتجستك كانت تدعى بسمارك ولوياثان« فاترلند »

أما المتجستك فاكالاكويتانيا في نظامها وترتيبها لكنها تفوقها طولا وعرضاً وحمولة فطولها ٩٥٦ قدماً وعرضها ١٠٠قدم وتفريغها ٥٦٠٠٠ طن وقوة آلاتهـــا البخارية ٦٧ الف حصان ومتوسط سرعتها ٢٣ ميلا ونصف ميل فيالساعة وهى تسير بالبنزين ولذلك كان حقاً علينا أنلاندعيها باخرة لانها لاتعتمد على الآلةالبخارية . وغرفة المائدة فيها طولها ٤١ متراً وعرضها ٣٤ متراً وعلوها ١١ متراً وفيها متسع لما يزيد عن ٨٠٠ راكب في الدرجة الاولى

هذا قليل عمَّا بلغه فن سلاك البحار من الارتقاء ولكن من يستطيع القول أنالمستقبل لا يكون لفنسلاك الهواء . فان الطيران لا يزال فى مهده وقد قطع البلون الالماني الاميركي مسافة ٥٠٠٠ ميل بين المانيا ونيويورك فى ثلاثة أيام ونحو ثلث يوم وذلك أقلّ مما تستغرقه الموريتانيا وهىأسرع البواخر في الاتلنتيكي، بيناميركا وبلاد الانكليز



*

التعاون بين انكلترا وأميركا

كانت الباخرة اكويتانيا تقل كثيرين من الاميركيين الذين ساحوا فى أوربا [1] في شهري يونيو ويوليو الماضيين وبينهم عدد من الذين عنوا بدرس أحوال أوربا السياسية والاقتصادية

لقيت أحدهم وهو من الذين زاروا بلاد الانكليز مراراً بعيد الحرب الكبرى والمّ بما تراه الخاصة والعامة في كبريات المسائل السياسية والعمرانية فحدثته عن التعاون بين انكلترا وأميركا في حل مشاكل العالم فقال :

يؤلمني جداً أنني رأيت في زيارتي الاخيرة لبلاد الانكليز ان الرأي العام فيها أخذ ينظر الى أميركا نظرة تشف عن عدم الرضى وسبب ذلك في نظري عائد الى الشعور بأن الانكليز غبنوا في

---

(١) يقدر عدد السياح الاميركيين الذين زاروا أوربا هذا الصيف والذين سيزورونها قبل انتهائه بثلاثمائه الف سائح ويقول أصحاب البنوك انهم ينفقون فيها نحو ٣٠٠ مليون ريال

تسوية الدين بين انكلترا وأميركا . فالجانب الاكبر من العامة يعتقد أن انكلترا تحمل الآن النصيب الاكبر من العبء المالى الذى أورثته الحرب الكبرى وكان يجب على الحلفاء أن يحملوه على السواء »

والانكليز في ذلك على حق . فالعامل الانكليزى في موقف حرج جداً — بين دائن لا يرحم ومدين لا يسدد — ومما يزيد في هذا الشعور وفي حرج الموقف، أن النقود التى استدانتها انكلترا فى زمن الحرب الكبرى لم تنفقها على جيوشها بل هي الدولة الوحيدة من دول الحلفاء الاوربية التى جمعت نفقات الحرب من أبنائها والاموال التى استدانتها انما هي لحلفائها . أما المتمولون الاميركيون الذين اقرضوا هذه الاموال فلم يقرضوها إلا بعد ما كفلت انكلترا دفعها. وهنا موضع الفخر لمالية انكلترا. ولكن هل كانت انكلترا فى جانب الحكمة لما فعلت ذلك. ان الانكليز لم يقدموا مثل هذه الاعتبارات فى أثناء الحرب على الاهتمام باحراز النصر النهائي لذلك لم يترددوا في ضمان هـذه الاموال التى انفقها الحلفاء على مواصـلة الحرب الى نهايتهـا

ولعل الانكليز كانوا ينتظرون من حلفائهم أن يوفوا ما عليهم من الديون بعد احراز النصر مع الشكر والاعتراف بالجميل . على أنه ما وضعت الحرب أوزارها حتى بدا لهم انهم واهمون في ذلك فراحت حكومتهم تثقل كاهل السكان بالضرائب حتى بلغت هذه

الضرائب ٥٠ في المائة من دخل الاغنياء منهم وَ ٢٥ في المائة من دخل الطبقات الوسطى في حين أن الفرنسويين كانوا ولا يزالون يتنعمون بضرائب قليلة

وزد على ذلك أن فرنسا لا تكتفي بعدم الاعتراف بديونها أو الاهتمام بتسديدها بل تنفق ما يزيد على فائدة هـذه الديون على تسليح الدول الصغيرة في أوربا وعقد المحالفات السياسية والحربية مع دول تخضع لسلطتها وسيطرتها

هـذا موقف الانكليز الآن وهم على حق في شعورهم هذا ولكن بدلا من أن يوجهوا استياءهم الى الولايات المتحدة لماذا لا يوجهونه عبر بحر المانش الى فرنسا ثم الى إيطاليا . هذا أمر لا نستطيع البحث فيه في هذا المقام لكن الامر الذى نريد أن نلفت اليـه الانظار هو أن شعور الانكليز في مسألة الدين الانكليزى الاميركى اذا كان صحيحاً كما فهمـه وذكره محدثى كان خطراً على التعاون الفعلي بين الامبراطورية البريطانيـة والولايات المتحدة الاميركية — والتعاون التام بينهما القائم على الولاء وحسن النية — من أعظم الاركان التى تقوم عليها مدنية اليوم

* * *

تركت الحرب الكبرى أوربا في حالة من الفوضى تفوق الحالة التى صارت اليها بعد حروب الثلاثين سنة في القرن السابع عشر .

فالنظام الاوربي كان قائمًا علي المباراة في التسليح وتنظيم الجيوش واعداد الاساطيل والتوازن الدولى . على أن الخراب الذى تلا الحرب الكبرى كان يثير الامل باقامة النظام الجديد على أركان هي أقرب الى العقل من الاركان التى كان قائماً عليها من قبل . وكبر الامل بالنجاح لما ظهر للعيان ان الدولتين الكبريين اللتين خرجتا من الحرب من غير أن تقلب الحرب ما فيهما من نظام أو تفقدهما ما فيهما من قوة — أعني انكلترا وأميركا — كانتا تتوقان الى حل معقول لجميع المشاكل الكبرى يؤدى الى توطيد أركان السلام

كانت انكلترا وأميركا قبيل الحرب من أقوى دول العالم لكن الحرب تركتهما أقواها على الاطلاق وكان فى وسعهما أن تسيّرا كل شيء على مرامهما للوصول الى ما تريدان من توطيد النظام الجديد . فقواهما الحربية والبحرية والتجارية والصناعية والزراعية كانت لا تبارى والاواصر النفسية التى تربط الشعبين كثيرة متينة فكلاهما يتكلم لغة واحدة ويعترف بمبادىء واحدة في العدل والحرية والنظام العمراني . كذلك تاريخ البلادين السياسي دليل من اسطع الادلة على فوز العقل والحق على العاطفة الهائجة التى تطلب ثأرا علاوة علي انه انقضى عليهما ما يزيد على قرن كامل من غير ان تقع بينهما حرب. ومع ما ظهر بين الدولتين من المشاكل وجد ممثلو البلادين سبيلا الى حله حلا مرضياً من غير امتشاق

الحسام . وهذه حدود أميركا وكندا طولها نحو أربعة آلاف من الاميال لا تجد فيها معقلا أو سلاحا ما وقد عاش الشعبان متجاورين سنين كثيرة من غير حرب أو ما يسبب حربا بينهما

أقول هذه هي العوامل الكبرى التي جعلت التعاون بين البلادين عقب انتهاء الحرب الكبرى قريبا بل سهلا بل منتظراً وهما لو تعاونتا لاستطاعتا كما قلت تسيير الامور كما تشتهيان. ولكن المسائل الانتخابية في كلتا البلادين حطت المسائل العمرانيـة الكبرى الى مستوى النضال السياسي الشخصي وهذا مما يؤسف له جداً فافضى الامر الى افتراق البلادين وانتهت مفاوضات الصلح بفوضى تكاد تكون أعم من قبل

واذا صح ما قاله محـدثي الاميركي عن الشعور الذي أخذ يسود العامة في انكلترا في مسألة الدين الانكليزي الاميركي كان ذلك صدمة أخرى لتحقيق أمل كبير — وهو التعاون بين هذين البلادين العظيمين

على أن هنالك ما يبعث على الامل. فقد حدث في الاسبوعين الماضيين ثلاثة أمور تدل على رغبة الاميركيين في التعاون . منهـا أن حكومة الولايات المتحدة اشتركت اشتراكا فعليـا في مؤتمر لندن[1] فجاء هذا الاشتراك خير منشط لعزيمة العاملين على توثيق

(١) المؤتمر الذي أقر فيه الحلفاء تقرير دوز وقبلت بذلك المانيا واكبر أشخاصه مكدونلد وهريو وماركس

عرى الصداقة بين الشعبين الاميركي والانكليزي بوجه خاص . ثم اجتماع مؤتمر الاعلان في معرض ومبلي الذي حضره نحو خمسة آلاف نفس من البلادين وحسب اكبر مؤتمر تجاري في التاريخ . والثالث زيارة جمعية المحامين الاميركية لانكلترا وعلى رأسها المستر هيوز وزير الخارجيـة الاميركية حينئذ الذي كانت له يد كبيرة في مفاوضات مؤتمر لندن غير الرسمية .

* * *

قال لورد تشتام الوزير الانكليزي الكبير في أزمة سياسية مستحكمة « اني استطيع أن انقذ هذه البلاد ولا أحد غيري يستطيع ذلك » وهذا ما يصح أن يقال عن أميركا وبريطانيا في حالة العالم الحاضرة ولكنهما لا يسعهما القيام بهذا العمل الشاق بلا تعاون قائم على ولاء تام وحسن نية لا تشوبها شائبة

أفيصح لنا أن نرى في « مؤتمر لندن » و « مؤتمر الاعلان » وزيارة « جمعية المحامين » طلائع هذا التعاون الصادق

الباخرة اكويتانيا في ٣١ يوليو سنة ١٩٢٤



أمام العالم الجديد

البحر رهو والهواء معتدل والباخرة العجيبة تختـال على مهل لانها أمام مرفأ نيويورك

أنظرالى يسار الباخرة تر وراء الضباب الكثيف جزيرة صغيرة ارتفع فوقها نصب عال كأنه مارد من المردة ما كدنا نمر أمامه حتى تألب الاميركيون من المسافرين وجعلوا ينشدون « بلادي، بلاد الحرية » فعرفت أن الشبح المبهم وراء الضباب هو تمثال الحرية المشهور

واذا صديق زار نيويورك قبلا يناديني الى الجهة اليمنى من الباخرة ويقول أنظر الى الامام فنظرت قال ألا ترى مباني نيويورك التي تناطح السحاب فحدقت ببصري وقلت أرى ركاما أدكن اللون ولكن الضباب يحجب خطوطه فلا أستطيع تبينه قال ليس ما تراه سوى مباني نيويورك الشاهقة وهي مع تمثال الحرية أول ما يحيي المسافر من هذه المدينة العظيمة فكأنها تقول له ان الارض لاتضيق

بالانسان الحر المقدام فاذا لم يتسع له المجال على سطحها يأبى عزمه واقدامه الا أن يبنى له أبراجا تذهب « فى الجو كأنها أجزاء اعنان » ويجعل له فيها مساكن ومكاتب أمنع من أوكار النسور على شوامخ القمم

ووقفت بنا السفينة أمام جزيرة الس التى تهلع لذكرها قلوب المهاجرين لما يلقاه الكثيرون من مر العذاب قبل أن يؤذن لهم بالدخول الى أرض الميعاد أوقبل أن يقضى أولو الامر بارجاعهم على أعقابهم يبحثون عن أرض يحطون فيها رحالهم ، فقلت هذا مأزق لا ينجيني منه سوى الاعتصام بالصبر والحيلة ووثيقة السفير. ولا أعلم لماذا جزعت وأنا أعرف انى قادم نيويورك زائراً فلا تسرى عليّ شريعة المهاجرة الشديدة. لكن سرّي عني حين استأنفت الباخرة سيرها الى داخل المرفأ والقت فيه مرساتها حول الساعة الخامسة مساء

ستة أيام الا بضع ساعات ونحن لا نرى غير الضباب يحجب عنا الازرقين السماء والماء والبحر مضطرب ترتفع أمواجه الهوجاء وتنخفض فترتفع معها باخرة كالبرج المشيد وتخفضها فذكرت قول بيرون يخاطب البحر « كلها لعب بين يديك يا بحر تخفضها وتعليها تعزها وتذلها تتلاعب بها كما تشاء لا فرق عندك بين سفن الارمادا واساطيل طرف الغار » ـــ ستة أيام على هذا المنوال وهذه

نيويورك العظيمة البهجة تنسيك أهوال البحار — هذه نيويورك قبلة الامل ومحط الرحال الى حين

وما لبثنا حتى شاع بين المسافرين ان مأموري المهاجرة لا قبل لهم بالمصادقة على جوازات كل المسافرين فيكتفون بالمصادقة على جوازات الاميركيين منهم ويعودون في الصباح التالى لاتمام الباقى

فثارت فى نفسى ثورة الحنق . أنحن على قيد خطوة من نيويورك ولا يؤذن لنا في النزول اليها : أنجد التمييز بين شعب وشعب حتى في مرفأ الولايات المتحده العظيم — بلاد الحرية والدمقراطية ؟

ورجعت الى نفسى فقلت اذا كان القوم كذلك فلابد من التوسل بوسيلة ما للنزول الى البر مع الاميركيين

فسألت عن مدير المهاجرة وقصدت اليه فقلت ها توصية من معتمد الولايات المتحدة في القاهرة وانا ذاهب الى مجمع علمى لا قبل بالتأخر عن حفلة افتتاحه أفلا تأذن لى في النزول الى البر فنظر اليّ باسما فقلت لقد نجح المسعى انها رحلة موفقة . واذا اثنان آخران في نفس الموقف الذى انا فيه يريدان النزول الى البر ذلك المساء ولكل منهما وسائل يتوسل بها . لكن مدير المهاجرة أدرك للحال ان فتح باب الاستثناء يؤدي به الى ورطة لا نجاة منها فابتسم ثانية ورفض .

عدت الى مؤخر الباخرة وآثار الفشل قد حركت في أعماق نفسي بقية باقية من العزة القومية فاغرورقت عيناى بالدموع وقلت ألا تتاح لنا دول شرقية منيعة الجانب نعتز بعزتها وتلتف حول لوائها آمالنا وأمانينا

* * *

الساعة الثامنة مساء وهذه نيويورك تحييك بأنوارها انوار شوارعها واعلاناتها اللامعة المتلالئة المتلونة كل دقيقة بلون — ان في لمعانها معنى من معانى الهزء والسخرية فكأنها تقول لك « هاقد بلغت هذه الشواطيء ولكن ماذا تريد ؟ اننا شهدنا ملايين مثلك طارت بهم احلام الشباب وآماله وحملتهم أجنحة العزيمة والفتوة والطموح ، من كل شعب ومن كل بلاد . لقد شهدناهم ينطحون برؤوسهم جدران هذه المبانى الضخمة فتهن رؤوسهم ، ثم تنكس ثم لا نرى لهم أثراً بين الجموع المحتشدة في هذه الشوارع . نعم كان من نصيب بعضهم ان حالفهم النجاح فاغتنموا الفرص السانحة وجمعوا ثروات طائلة . وتتاح لك كل الفرص التي تروم ففي هذه الجزيرة الصغيرة كل ما تطمح اليه النفس من ثروة وسلطان ورفاهية . أتريد بنكا تتولاه أوجريدة تحررها وتعتز بنفوذها وقوتها أو شركة تديرها ؟ لك كل ما تصبو اليه أيا كنت ولكن اذكر أيها الفتي الطامح أن المضمار طويل شاق وفيه أمامك سبعة ملايين كلهم طموح وكلهم صبور وكلهم مجتهد

العاصمتان

باريس ونيويورك !

هذه فخر المدنية الاوربية القائمة على أركان خالدة من المجد والفن والجمال . وتلك فخر الحضارة الاميركية المشيدة على دعائم متينة من المال والرجال والنظام

هذه متحف وتلك متجر وبين المتحف الفخم البديع والمتجر الغنى المتقن تتلون الحياة بمئات الالوان وتتشكل وسائل العمران بألف شكل وشكل

باريز كنز من الفن والمجد لا يفنى . تسير فيها فتسير من أثر خالد الى أثر خالد ومن متحف نفيس إلى متحف نفيس ومن موقف تاريخي إلى موقف تاريخى فتزدحم فى مخيلتك عصور التاريخ بملوكها وجيوشها ونوابغها ، بفنونها وعلومها وآدابها ، فكل بيت في باريس يصح أن يكون مقاماً تاريخياً بل ان باريس على اتساعها متحف كبير

A NEW YORK SKY LINE

منظر عام لبعض مباني نيو يورك الشامخة من مصب نهر الهدسن

هذا اللوفر بنفائسه التى لا تحصى ولا تثمن بمال وفي مقدمتها صورة الجوكوندا وتمثالا الزهرة والنصر المجنح، وهذه قبة الانفاليد تضم تحت سمائها رفات نبوليون فتضم العظمة والمجد . وذلك معهد باستور أنفع الناس الى الناس ، هيكل للعلم ومزار للعلماء . وهذا البانثيون دفنت فيه أعلام الادب الفرنسوى الزاهر ، وتلك قوس النصر تشتعل تحتها الشعلة التى لا تنطفيء احياء لذكرى الجندى المجهول وترف فوقها ذكرى الانتصارات الفرنسية الباهرة . وهذه آثار الباستيل وتلك كنيسة النوتردام و و و . . . كيف وجهت نظرك رأيت أثراً جميلا خالداً في باريس الجميلة الخالدة

باريس ساحرة ! فالسحر يملأ جوها في الليل في النهار تستمده من المجد المؤثل في تاريخها ومن أرواح الخالدين من أبنائها السابحة في الفضاء وأسمائهم الشائعة على جميع الشفاه وما آتيهم التى أغنت العلم والفن ووسعت نطاق المعرفة

باريس مدينة الفلسفة والعلم — فما ذكرتها الاذكرت لابلاس؟ وبسكال ولافوازيه وباستور ومدام كورى

وهي مدينة السياسة والدهاء — ألم تأتك أخبار رشليه وتاليران وكلمانصو

وهي مدينة الفن والجمال — ألا ترى أمامك صفحات خالدة من الجمال في ساحة الكونكورد وحدائق التويلرى وقاعات اللوفر

ورياض فرسايل

وهي مدينة الابهة والمجد — قلب صفحاتها واقرأ ما دوَّنه فيها لويس الرابع عشر ونبوليون

وهي مدينة الادب والشعر مدينة كورنايل وراسين وفولتر وهيغو ودى موسه وأناطول فرانس

* * *

أما نيويورك فصحيفة مهندس رسم عليها بدقته الرياضية خطوطا متوازية ومتقاطعة وجعل من الخطوط شوارع مستقيمة وزوايا قائمة وأقام على مربعاتها مباني شاهقة جعلها عاطلة إلا من حلى العمل والعزيمة الراسخة والعقل المبتكر . فانك لا تكاد ترى فيها أثراً تاريخياً وأنت سائر في القسم التجاري من جزيرة منهتان ولا شارعا متعرجا لان الشارع المستقيم يوفر على سكانها ثواني يضيعها الشارع المتعرج وسكان نيويورك ليس لهم متسع من الوقت ليقفوا أمام آثارها التاريخية وينحنوا انحناء الاعتبار والذكرى ولا في وسعهم أن يضيعوا ذراعا مربعاً من الارض سدى لغير فائدة سوى جعل المدينة المزدحمة تروق الناظرين. حتى الدم الزكى الذى أريق في سبيل الاستقلال لم يقدس أرضاً يباع القدم المربع منها بعشرين الف ريال أو ما يزيد . فتسير شوارعها المتوازية من أحياء المدينة السفلى وهي الاحياء القديمة الى الاحياء العليا وهي

الاحياء الجديدة كصفوف جيش منتظم يتخطى كل حائل يعوقه عن التقدم إلى الامام فيهوى النظام القديم معفراً أمام خطواته المتينة ويقيم على أنقاضه نظاماً جديداً

* * *

تتجلى في نيويورك كل الصفات الداهشة التى أوجدت في قرن ونصف قرنٍ من بلاد بكر متسعة الجوانب مترامية الاطراف وشعب مزيج مختلف النزعات والمذاهب والاديان حضارة أميركية حية وشعباً أميركيًا نشيطاً . على أن ضخامة المدينة وشموخ مبانيها وازدحام شوارعها ليس كل ما يدهش الزائر ويروقه فى نيويورك لان الناظر ببصيرته وراء هذه الضخامة والعظمة يرى الصفات التي جعلت الاميركي قادراً على هذا الارتقاء السريع وهي حبه واحترامه للعمل واقدامه على جلائل المشروعات وتسابقه الى اقتباس الجديد المفيد والانفاق عليه بسخاء وتحرره من القيود الاجتماعية والفكرية التي تغل أيدي المتموّلين من أبناء الحضارات الاوربية .

* * *

ليس المراد مما تقدم أن أضن على باريس بمقامها التجارى ومكانتها المالية ولا أن أنفى عن نيويورك وسكانها كل اهتمام بالفنون واتقان اشكل المدينة حتى تقر بمنظرها العيون. لان ذلك غير حقيقي . ففي باريس تجد مخازن من أكبر المخازن التجارية فى

العالم وأفخمها كالبرنتان واللوفر والبون مارشيه وغيرها وفيها بورصتها الشهيرة وهي من أكبر بورصات العالم. كذلك في نيويورك متحف للفن يحسب الآن من أغنى متاحف العالم بالصور الايطالية والهولندية وقد بلغ من اهتمام الحكومة بالآثار الفنية الثمينة أن أعفتها من ضريبة الدخول. وفيها مكتبتها العمومية ومتحف التاريخ الطبيعي وقصور فخمة للاغنياء ورياض متسعة نضرة قد لا تجد ما يفوقها في مدينة أخرى. انما أريد أن أبين أن الصورة الاولى التي يراها زائر باريس حين وصوله اليها هي صورة الغادة الحسناء لا تلبس ثوباً قشيباً حتى تبدله بثوب قشيب تهوى الفن وتباهي بمجدها التالد وتاريخها الاثيل وتجد في حاضرها متسعاً من الوقت للتحدث في الازياء والممثلين وأحدث المؤلفات الروائية والتمثيلية. لكن الصورة التي تمثلت لي حين وطئت قدماي نيويورك وسرت في شوارعها المزدحمة ورأيت بناياتها الشاهقة هي صورة جبار في صورة انسان دائم الحركة متواصل الدأب بعيد النظر ينظر الى المستقبل نظرة تشف عن تفاؤل وأمل وثقة بالفوز

تمثال الحرية

رواية تمثال الحرية هي رواية الصداقة بين فرنسا والولايات المتحدة . يرفع الستار فيها عن المركيز لافايات متطوعاً في الجيش الاميركى الذي كان يناضل عن استقلال بلاده بقيادة وشنطون في مطلع العقد الثامن من القرن الثامن عشر . ثم تكر السنون ويرتفع الستار مرة أخرى في أواخر الحرب الكبرى عن الجنرال برشنغ قائد القوات الاميركية فى الميدان الغربي واقفا مع أركان حربه أمام قبر لافايات وعلى شفتيه « لافايت . اننا هنا »

اكرم الاميركيون لافايات وصحبه وعينه مجلس الامة الاميركي فى الجيش برتبة فريق فاراد الفرنسويون أن يكرموا أختهم الجمهورية الاميركية وما زالوا يترقبون الفرص حتى اقترب زمن الاحتفال بانقضاء مائة عام على اعلان الاستقلال الاميركى أى سنة ١٨٨٦ . ففكر نفر من الفرنسويين الذين يعطفون على الشعب الاميركي ويحترمون جهاده فى سبيل الحرية ويجلون نظمه الدستورية

الدمقراطية في هدية يهديها الشعب الفرنسوى الى الولايات المتحدة تكون مثالا رمزيا للحرية وعربونا صادقا لروابط الصداقة والشعور التى تربط البلادين . ولما استقر قرارهم على ذلك بعثوا بالمسيو اغسط برتولدى المثال الشهير الى أميركا لينظر في الامر

وما كادت الباخرة التى تقل برتولدى تدخل مرفأ نيويورك المقسم الأمين وما كاد يطل على ذلك المنظر الفريد فى جماله وانسجام أجزائه من بحر وبر وسماء حتى ارتسمت في ذهنه صورة كأنما كتبت بقلم ساحر . تلك صورة تمثال ينصب على احدى الجزر الصغيرة التى ترصع مرفأ نيويورك الخارجي يمثل الحرية في مثال امرأة تبسط ذراعي والدة ترحب بأولادها — ترحب بهم في النهار ببسمتها اللطيفة وبنظرها الوقور وفى الليل تحمل في يمناها المرتفعة مشعالا ينير سبيلهم الى بلاد الحرية

وما رسم برتولدى هذه الصورة أمام اللجنة الاميركية التى قدم ليفاوضها في أمر التمثال حتى وافقت عليها بالاجماع . ولكي يكون التمثال خير رابط بين الشعبين استقر القرار على أن ينفق الشعب الفرنسوى على صنعه وينفق الاميركيون علي صنع القاعدة التي يقوم عليها

ما أبهى « فتاة الحرية » فى الليل وقد عكست عن سطحها الانوار الباهرة فظهرت خطوطها المتناسقة المنسجمة . وهي حاملة

في يمناها ذلك المشعال المنير يبعث أشعته فى الفضاء فتخترق دياجي الظلمات

هى هناك سواء في الليل أو في النهار ترحب بجميع الذين يطلبون الحرية والعدل والمساواة ويقدسونها كاسمى ما فى الحياة وكأنها بما عليها من مسحة وقار وجلال تحذر الذين يعبثون بحرية غيرهم من الناس وتقول إن فى البلاد التى أحرسها قوة تضرب على أيدي العابثين

وتمثال الحرية هذا أكبر التماثيل في المسكونة وأضخمها مصنوع من صفائح البرونز المطروق فيصنع هيكل من الحديد أولا ثم يغطى بها حتي يتم التمثال . وهو مؤلف من ثلاث مئة قطعة من البرونز تختلف مساحاتها بين ذراع مربعة وثلاث أذرع مربعة . ولا يزيد ثخن احداها على ربع بوصة ومع ذلك فوزن التمثال ٢٥٠ طناً وعلوه من اخمص قدميه الى قمة رأسه ١١١ قدما ومن أخمص قدميه الى رأس المشعال ١٥١ قدماً وطول ذراعه اليمنى ٤٢ قدما وطول يده القابضة على المشعال ١٦ قدماً ونصف قدم وطول سبابتها ٨ أقدام ومحيط العقدة الثانية من عقد السبابة ثلاث أقدام ونصف قدم وطول عينه من موقها الى مؤخرها قدمان ونصف قدم . اذا أضفت الى هذه المقاييس أن علو قاعدته ١٥٤ قدماً وان أربعين شخصاً يستطيعون الوقوف في داخل رأسه واثنى عشر شخصاً حول المشعال عرفت شيئا عن ضخامة هذا التمثال العجيب

لكن الضخامة ليست أعظم ما يمتاز به بل هو فى رأى جميع النقاد جامع لكل الشروط التى يجب ان تتوافر في تمثال ليكون مثالا خالداً من الفن الصميم

* * *

درج برتولدي في سبيل من درج قبله من الناس وكان يرى فى الولايات المتحدة خير مثال لبلاد حرة ترحب بالذين جار عليهم الدهر فراحوا يضربون فى الارض يطلبون متسعا للفكر الحر والعمل الحر فجعل هذا التمثال مثالا سامياً لما يختلج في نفسه من احترام واعجاب بخصائص الدمقراطية الاميركية

لكن العصر الذي نعيش فيـه غير العصر الذى عاش فيه برتولدى وقد أورثت الحرب الكبرى مختلف الدول من المشاكل الاجتماعيـة والاقتصادية ما يصعب فى حلها تطبيق جميع مبادىء الحرية بأوسع معانيها . ومن أهم هـذه المشاكل في نظر الولايات المتحدة « مسألة المهاجرة » . فان الترحيب الذى مثله برتولدي في تمثال الحرية بابتسامة لطيفـــة ومشعال ينير سبيل الحائرين الى الشواطيء الاميركيه قد انقلب الآن تضييقا فلا يستطيع المهاجر أن يدخل ارض الميعاد الا بعد شق النفس

ولا يستطيع أحد أن ينكر على الولايات المتحدة اتباع خطة التضييق في مسألة المهاجرة . فالكتب تنبئنا والاحصاءات تدل على

ان حكومة الولايات المتحدة كانت ترحب بمعظم الذين يؤمون بلادها قبل الحرب (سوى المصابين بأمراض يخشى تفشيها بين السكان) لأنها كانت تريد أن تزيد ما تنتجه معاملها ومناجمها ومزارعها وكانت حينئذ تستطيع الاعتماد على كثير من الاسواق الاوربية فى بيع ما يفيض عن حاجة سكانها لان أوربا كانت قبل الحرب راتعة في بحبوحة من العيش . لكن الحرب زعزعت ما في أوربا من نظام ومزقت دولها شر ممزق وافقرت سكانها فاضطربت التجارة الاميركية في أوربا اضطرابا أدى الى تخفيض الانتاج فاضطرت الحكومة الاميركية حينئذ ان تقلل ما يرد عليها من العمال الغرباء اتقاء لشر العاطلين منهم وحجتها في ذلك حجة اقتصادية تقوم على ناموس العرض والطلب المشهور

وللمسألة وجه آخر يجب النظر فيه وهو أن الشعب الاميركى شعب مزيج ويدل احصاء ١٩١٧ على أن من الشعب الاميركي عشرة ملايين من السود وان من الباقين ١٤ مليونا ولدوا في خارج الولايات المتحدة منهم ما يزيد على مليون ونصف مليون من الالمان ومليون ونصف مليون من الايطاليين ونحو مليون ونصف مليون من الروس وسائر الامم ممثلة على نسب مختلفة فهناك الارلنديون الاسوجيون والنمسويون وأهالى مكسيك والمجر ونروج والدنمارك وغيرهم

هذا عدا ما تجده من التباين في الثمانين مليونًا الباقين الذين ولدوا فى اميركا ولكنهم من اصول مختلفة ولا يزالون ينزعون نزعة الامم التى نشأ فيها أجدادهم أو آباؤهم

فكل ما تقدم يجعل الولايات المتحدة في موقف حرج من حيث الوحدة الجنسية والقومية بل يجعلها لو أطلقت العنان لكل مهاجر يريد الدخول اليها عرضة للتفكك والتمزق بين النزعات القومية الشديدة . فهي على حقٍّ اذاً فى ان تتمهل قليلا حتى يتسنى لها ان تسعى للقضاء على الفوارق الجنسية وكسر حدة النزعات القومية بصهر جميع هذه العناصر المتباينة في بوتقة من التعليم القومي الموحد والتعاون السلمي العام فى سبيل المثل الانسانية العليـــا وترقية أسباب العمران

اذا ذكرت اليوم تمثال الحرية ذكرت رمزين يرمز اليهما. فالرمز الاول ترحيبه بالوافدين على أميركا هربا من جور أو جوع وقد انقضى زمانه الى حين وأميركا في ذلك على حق لاسباب ذكرناها فيما تقدم

وأما الرمز الثانى فيشير الى ان الامة التى تعيش فى ظل هذا التمثال أمة حرة تقدس حرية الفرد في فكره وقوله وعمله اذا لم يكن فيها خطر على المجموع . كذلك كانت يوم تحررت وهى لا تزال كذلك . جميع الناس فيهـا سواء أمام القانون والعدل ومضمار السعي فيها يلجه من يشاء ولا يفوز الفائز فيه إلا عن جدارة واستحقاق.

نيويورك ومبانيها

من يتصدى لوصف مدينة نيويورك وعظمتها وغناها لا يأمن العثار لانه لا يستطيع أن يكتفي بعبارات الوصف المألوفة فاذا خرج عن المألوف ظهرت على قوله آثار الغلو والاغراق وان كان دون الحقيقة . وذلك لان نيويورك الكبرى أوسع المدن في العالم مساحةواكثرها سكاناوأشدها ازدحاما وأعظمها غنى وثروة[1].فيها أعلى المباني وأطول الكبارى المعلقة واضخمها وأفخم الفنادق واكثرها اتساعا ورفاهية. ووسائل الانتقال فيها فخر وفوز للعلم العملى تسير تحت الارض والماء وعلى الارض وفى الهواء فتنقل الوف الملايين من الناس فى السنة . كذلك أغنياء نيويورك أغنى اغنياء العالم وأقواهم نفوذاً فى الاسواق المالية وقد بلغت قيمة الصفقات المالية التى تمت فى بنوكها فى السنة التى آخرها ٣ سبتمبر ١٩٢٣ نحو

---

(١) تقدر ثروة نيويورك باثني عشر الف مليون ريال او مايوازي ثروة مملكة البلجيك ونصف ثروة اليابان

٢١٣٣٦١ مليون ريال أو نحو ٤٢٦٧٢ مليون جنيه. وزد على ذلك انها أعظم مرافىء الدنيا تختلف اليها اكبر البواخر وافخمها واسرعها تنقل البضائع والمسافرين من جميع انحـاء المعمور . وقد بلغت وارداتها سنة ١٩٢٢ نحو ١٣١٧ مليون ريال وصادراتها ١٣٦٥ مليون ريال . ففاقت بذلك همبرج أقرب منافسيها اليها بنحو ٥٠ مليون ريال

على ان وراء هذه العظمة وذاك التشعب الظاهر في كل منشآتها وأعمالها نظاما بديعا يكاد يكون رياضيا في دقته طبيعيا في شموله وهو الركن الاقوى الذى تقوم عليـه الحضارة الاميركية العملية والمظهر الاسمى لنبوغ هذا الشعب الحي

نشأة مبانيهـا

من يبن بناء عظيما خالداً بخلود الفن والفخامة والجمال يقلد الانسانية فضلا على مر العصور . لذلك يصعب علينا أن نقيس ما يختلج فى نفوسنا من شكر واعجاب واحترام لبناة البانثيون والنوتردام في باريس وغيرهما من المبـاني الفخمة في مدن أوربا المختلفة . ففي هذه المبانى يتجلى الجمال فى الفن والخشوع في الدين لانها كانت تبنى دليلا للتعبد وعنوانا المجد وهذه أمور تبقى بعد ان ينسج الزمان خيوط النسيان على كثير غيرها من مآتى العصور

التى انتجتها . ومقام هذه المباني وعلو شأنها ليس بما بنيت به من حجر ثمين نادر ولا بما طليت به من ذهب خالص وهاج بل بما تتضمنه وتمثله من نزعة روحية أو فنية في العصر الذي بنيت فيه والامة التى انجبت بناتها . وكيفما ضربت فى مشارق الارض ومغاربها تجد أن فن البناء كان وقفاً على اصحاب الاديان يقيمونها لعبوداتهم وهذه الكنائس التى شيدت في ايطاليا وفرنسا وبلجيكا وغرب المانيا فى القرون الوسطى والمساجد العظيمة فى الشرق الادنى والاوسط اكبر شاهد على صحة ما أقول

على أن ما فعله التعبد في أوربا في القرون الوسطى فعلته التجارة واتساع الاعمال فى اميركا في القرن العشرين ولكن على منوال جديد . والاميركيون ينظرون الى مبانيهم الشامخة نظرة ملؤها الاعجاب والاحترام لانها تمثل أعلق الامور بنفوسهم وهى المبادىء التى تقوم عليها حضارتهم العملية ويفاخرون بهذه المبانى كما يفاخر الانكليز باسطولهم والفرنسويون بكل شيء فرنسوي

* * *

ما كادت نيران الحرب الاهلية الاميركية تخبو برأب الصدع الذى كاد يمزق شمل الاميركيين حتى فسح المجال لقوى شعب نشيط يسكن بلاداً بكراً من أغنى بلدان الله فهاجر الملايين من الناس الى الولايات المتحدة وجعلوا يستخرجون خيراتها المطمورة وأخذت

تجارتها ترتقى ارتقاء لم يذكر التاريخ له مثيلا في سرعته ومدت الخطوط الحديدية فربطت الولايات الغربية بالولايات الشرقية على بعد الشقة ووعورة الطريق وزرعت قفار الينوي وانديانا وايوى وداكوتا فصارت من أغنى مخازن الحبوب في الدنيا واستخرجت الثروة المعدنية المطمورة في تربة بنسلفانيا وفرجينيا وكاليفورنيا والولايات التي على سفوح الجبال الصخرية فارتقت الصناعة ارتقاء عظيما ونجم عن كل ذلك ارتفاع فى مستوى المعيشة وزيادة فى رفاهة الناس وتوسع فى التجارة والاعمال فوضع هذا التوسع الفذ فى التاريخ أساساً لعظمة نيويورك المالية والتجارية. ولما ضاقت جزيرة منهتان بسكانها قام المهندسون من الاميركيين وفيهم من الاقدام وحب التجديد نزعة أمتهم الفتية فأنشأوا مبانى شاهقة لا نجد ما يماثلها فى سائر مدن العالم أو فى الغابر من عصور التاريخ . أنظر اليها عندما يخيم الغسق من جسر (كبرى) بروكلن وقد وارى الظلام خطوطها وشعت من كواها الانوار الكهربائية تر منظراً تعجز عن رسم مثله ريشة ترنرويكبو أمام وصفه قلم رسكن

* * *

بناء المباني الشاهقة فن أميركى وضع الاميركيون مبادئه العملية وأوصلوه الى مرتبة عليا من الاتقان والكمال . دعت اليه الضرورة فلبت دعوتها عقول مبتكرة تدربت على العمل بالعلم واثرياء ذوو

نظر بعيد لا يضنون بالمال على تجربة الجديد لانه مخالف للقديم المألوف

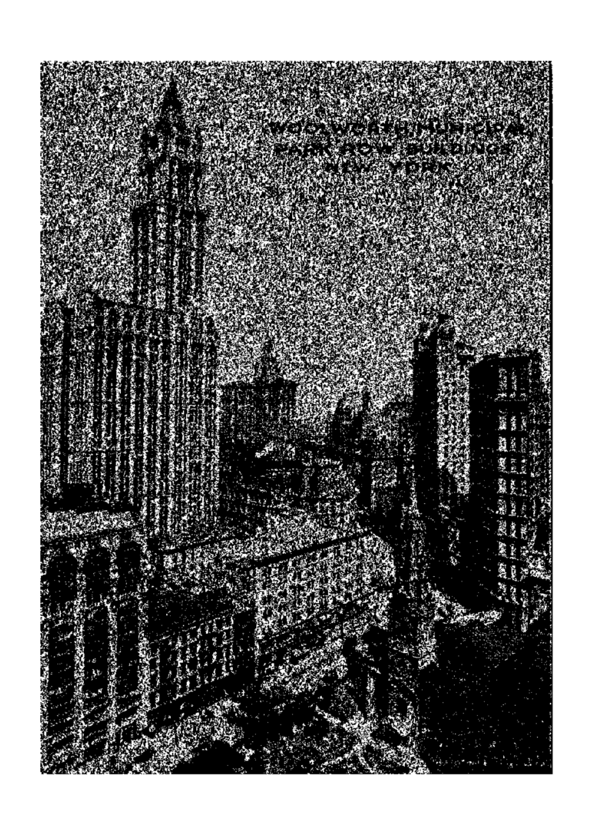
أما داعي الضرورة فهو ازدحام السكان في بقعة ضيقه من الارض في الطرف الادنى من جزيرة منهتان وحاجتهم الى مكاتب تجارية ومالية هناك. فانك تجد في البناء الشاهق المؤلف من عشرين دوراً أو ثلاثين دوراً متسعاً لالوف من الناس في بقعة قد تضيق عن مائة أو مائتين لو بقي البناء محصوراً في طبقتين أو ثلاث طبقات

وما كانت البناية الشاهقة التي ترتفع الى ثلاثين دوراً أو اربعين أو خمسين كمباني نيويورك في حيز الامكان لو لا الاعتماد على بناء هيكلها من الصلب كما تبنى الكباري ولو لا استنباط الروافع التي تسهل الانتقال من الارض الى الطبقات العليا بسرعة وبلا عناء. كان النظام القديم من البناء يقضي ببناء الجدران أولا ثم يبنى السقف ثم تبنى جدران الدور الثاني وهلم جراً ولذلك كان علو البناء محدوداً لا يزيد على بضع طبقات. أما في النظام الجديد فليست الجدران سوى حواجز تقي السكان المطر وعصف الرياح وأما الاعتماد فعلى الهيكل المصنوع من الصلب الذي تماسك أجزاؤه فيصبح البناء قطعة واحدة. ويقول المهندسون انه ما من مانع هندسي يمنع بناء بناية تتألف من مائة طبقة

ومع ما يجده الزائر في هذه المباني من موضع الدهشة والاعجاب حين ينظر الى شموخها وعظمتها تزداد دهشته حين يعلم شيئاً عن

الاساس الثابت الذى تقوم عليه فالاساس يجب ان يقوم على صخر صلد وفى بعض المباني كما فى فى بناية ولورث عمق هذا الصخر يزيد على مائة قدم والمسافة بين سطح الارض والصخر تبنى على نسق الابراج الضخمة المتينـة التى يبنيها صانعو الكبارى أي بالكاسون المصنوع من الصلب والاسمنت المسلح

والبناية الواحدة من هـذه البنايات مدينة مصغرة فانك تجد فيها ما يقابل سكك الحديد والترامواىات في المدينة وأعنى بذلك الروافع وهي كثيرة لا تقل في بناية كبيرة كبناية ولورث عن اربعين رافعة أو خمسين تقسم الى قسمين روافع اكسبرس سريعة وأخرى تقف عند كل دور وهذا الترتيب لا بد منه لانجاز الاعمال بما تحتاج اليه من السرعة . وفيها أيضاً نظام خاص بها لاطفاء النار وكثيراً ما تجد فيها مطاعم ومخازن ومكاتب عمومية للتلفون والتلغراف والبريد وأخرى لشركات التأمين المختلفـة والاطباء والمحامين والسماسرة والخياطين ومساحي الاحذية وبائعي السجاير والحلاقين ومسالك تحت الارض توصل الى أقرب المحطات التى يمر فيها قطار النفق وهلم جراً أى ان الساكن أو المشتغل في بناية من هذه المباني لايحتاج الى الخروج منها لقضاء حاجة من حاجاته بل يستطيع أن يقضيها فيها . ولكن هل يستطيع الاميركى ان يحصر نفسه ضمن جدران بناية مهما تكن عظيمة !



بناية ولورث ووراءها بناية البلدية

واليك أرقاما تبين عظمة هذه المبانى

فبناية ولورث مؤلفة من ٥٥ دوراً عدا البرج وارتفاعها ٧٩٢ قدما وقد بلغت نفقات بنائها ١٤ مليون ريالا أو نحو ثلاثة ملايين جنيه وفيها مكاتب تسع ١٤ الف نفس . بناها رجل عصامى يدعى ولورث جمع ثروته من مخازن كل ما يباع فيها ثمنه غرش صاغ أو غرشان صاغ

وبناية الاكويتابل تتألف من ٤٣ دوراً وارتفاعها ٥٤٥ قدما والمساحة التى تؤجر فيها مليون ومائتا الف قدم مربعة (لان كل المكاتب هناك تؤجر بالقدم المربعة) يشتغل فيها يومياً ١٥ الف نفس وفيها ٦١ رافعة وقد بلغت نفقات بنائها وثمن الارض التى بنيت عليها نحو ٦ ملايين جنيه

وبناية البلدية مؤلفة من ٣٤ دوراً علوها ٥٣٩ قدما وعمق أساسها ١٣٠ قدما وقد بلغت نفقات بنائها عشرة ملايين ريال أو مليوني جنيه

وبناية هدصن ترمينال اكبر بناية في العالم من حيث مساحة المكاتب التى تؤجر فيها وتسع نحو عشرين الف نفس

وبناية سنجر ثانية بنايات نيويورك فى الارتفاع علوها ٦١٢ قدما تتألف من ٤٧ دوراً

وعلى هذه قس غيرها من المباني الكثيرة التى تتألف من ٢٠

دوراً أو اكثر قليلا . ويدل الاحصاء الاخير أن ثمن المبانى الشاهقة الجديدة التى بنيت فى نيويورك سنة ١٩٢٤ يبلغ نحو ١٢٠٠ مليون ريال

* * *

حقاً أن مباني كل شعب تمثل ما في نفوس ابنائه من نزعات وغايات. ولاشك أن في تسمية هذه المبانى الشاهقة SKY-SCRAPERS أو « نواطح السحاب » دليلا على أن الاميركيين يتبعون قول فيلسوفهم امرسن « أنِطْ مركبتك بالنجم » أو على قول المتنبي :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم



*

الصحافة الاميركية
النهج الجديد في تحرير الجرائد الكبرى

صحف الشعب مرآته تقرأ بين سطورها أحواله وتلمس من عباراتها آماله وغاياته وترسم من أخبارها صوراً حيـة من حياته الفردية والاجتماعية . وكما أن الشبح الذي تراه فى المرآة لا يكون شبحاً جلياً الا اذا كانت المرآة صافية الأديم كذلك لاتكون الصور الاجتماعية التي ترسمها من مطالعة صحافة شعب ما صوراً صحيحة تمثله خير تمثيل الا اذا كانت الاخبـار التى تنشرها تلك الصحف بالغة أقصى حد مسـتطاع من الدقة في الوصف والنزاهة في الغاية

والصحافة أيضاً قوة من قوى العمران الحديث لكنها لاتكون قوة نافعة محترمة الجانب فى بلد راق ولا تسـتطيع أن تقود رأيا عاماً مستنيراً في شعب ناهض مالم تعتمد فى كل ما تبديه من الآراء على القول المخلص الناتج عن الروية والعلم، والعاطفة الشريفة يلطفها العقل الراجح والحكم المعتدل ، والبـداهة المصقولة بالاختبار، والاستقلال القائم على السعي فى سبيل النفع العام

كلا ! ليست الصحافة التي تتصف بهذه الصفات عنقاء مغرب أو سراب بقيعة فكثير من الصحف الاميركية الكبرى كالنيويورك تيمس والصن والبوسطن ترانسكربت وغيرها سائرة في السبيل السوي لتحقيق هذه الغايات السامية . ولعل أول من يرجع اليه الفضل في وضع هذه الخطة الجديدة في الصحافة الاميركية والسير عليها هو المستر أُكس صاحب جريدة النيويورك تيمس . وهاك ما قاله في خطبة خطبها منذ ثلاثين سنة في جمعية المحررين الوطنية «وصحيفة المستقبل هي الصحيفة التي تجرؤ على نشر كل الاخبار الصحيحة ولا تجبن عن تفسيرها والتعليق عليها بما يوحيه ضمير صاحبها وكتابها . لقد انقضى الزمن الذي كانت فيه الصحيفة الواحدة منبر رجل واحد أو بوق حزب من الاحزاب . وكلما ارتقى الناس في المعرفة والفهم والاستقلال الفكري ازداد طلبهم لصحيفة تنشر لهم تاريخاً وافياً لكل يوم من غير أن تخاف في ذلك عقابا أو تنتظر ثوابا من جهات خاصة . وواجب الصحافي الذي يريد أن يخدم جمهوراً راقيا مستنيراً أن ينشر لهم الحقائق ولا ينشر سواها وأن يتقدم حينما تقتضي الحاجة للتعليق عليها كما تقدم »

نطق هذا الرجل بالعبارات المتقدمة لما كانت الصحافة القديمة في أيام عزها ولكنه انتقل بعد قليل الى نيويورك واستولى على جريدة التيمس فيها وصار الدماغ المفكر الذي يدير الحركة الجديدة وصارت

جريدته المظهر الاسمى لارتقاء الصحافة الحديثة حسب ما رآها صاحبها قبل ذلك بربع قرن

***

ولتحقيق هاتين الغايتين تفصل الجرائد الكبرى الآن فصلا تاما بين قلم الكتاب الذين يتولون التعليق على الاخبار وابداء الآراء التى تنم على معتقد صاحب الجريدة ومحرريها وبين جمهور المخبرين وعلى رأسهم المحرر المدير الذين يسعون في كل ناحية من أنحاء العالم لجمع الاخبار وغايتهم فى ذلك الدقة والتحرى في الوصف. فتحقيق المبدإ الاول يكفل للجريدة مكانة سامية فى نفوس القراء، والسبق الى نشر الاخبار الصحيحة يكفل لها رواجا واسعا يساعدها على اجتذاب جمهور المعلنين الذين تعتمد عليهم في سد معظم نفقاتها الفاحشة

وقد ظهرت لى هذه الحقيقة جلية في الصحف اليومية التى كنت أطالعها فجريدة التيمس النيويوركية جريدة مستقلة دموقراطية النزعة تشتريها في الصباح فتقرأ في صفحاتها حيث تكتب المقالات الرئيسية التى تعبر عن آراء صاحب الجريدة ورؤساء التحرير المعروفة بالاديتوريال فترى فيها نزعة دمقراطية واضحة كل الوضوح. مع ذلك لم تقبل هذه الجريدة فى أيام الحكومات الدمقراطية أن تضحي باستقلالها لتكون بوقا للحكومة تنفخ فيه حين تشاء وما تشاء. كذلك كنت أشتري

في معظم الاحيان جريدة مسائية جمهورية النزعة هي جريدة « الصن » وكنت أجد فيها ما أجده في جريدة التيمس وصفاً دقيقاً لخطب جميع المرشحين وأعمال لجانهم ودعوة لتأييد الجمهوريين في المقالات الرئيسية . وفي كلتا الحالتين ليس لاحدى هاتين الجريدتين علاقة رسمية ما بالحزب الدمقراطي أو الحزب الجمهوري أي أنها لا تتكلم بلسانه بل كل منهما تعبر عن رأى أصحابها ومحرريها ولا مانع في أن يكونوا من أصحاب المقام فى أحد الحزبين .

هذه الحالة فى الصحف الكبرى وتشذ عنها معظم صحف هرست وبعض الصحف التي في المدن الصغيرة والارياف فانها لا تزال سائرة على الخطة القديمة وهى نشر الاخبار التي تطابق آراء أصحابها وعدد جرائد هرست نحو ٣٠ جريدة يطبع منها يومياً نحو ثلاثة ملايين وربع مليون نسخة

ولهذه الخطة فائدة معنوية كبيرة هي تعليم الناس الاستقلال فى التفكير . فالصحف أصبحت رخيصة الثمن يستطيع كل أحد أن يشتري ثلاثا أو أربعا منها كل يوم فيقرأ فيها الاخبار ويبنى رأيه عليها . والاميركي بطبيعته وتربيته يكره أن يستمد أراءه من غيره فتساعده الصحف على انماء هذه النزعة الحميدة . ومما يستحق الذكر هنا أن السياسة ليست كل ما تعنى به الجرائد الكبرى ففي كل عدد تجد فصولا علمية وصحية قريبة التناول وأخرى في الفنون

والالعاب والمسارح ومختلف الاعمال الماليه والعمرانية

لا أريد أن أصور الصحف الاميركية خاليـة من كل تقصير وضعف انما قصدت الى بيان الاتجاه الجديد فى الصحافة الراقية هناك وهو فى رأيى اتجاه حميد لانه يجعل الصحافة قوة مفيدة فى ترقية العمران وتهذيب الشعوب فتجمع بين التدوين النزيه والنقد المنصف وحث الهمم والافكار على ما فيه الخير العام

* * *

ولا يخفى أن القيام بالصحف الكبيرة صار من أعمال الشركات الغنية لما تقتضيه من النفقات الطائلة التى تنفق فى جمع الاخبار وتسهيل سبل التوزيع وغير ذلك. والصحف الاميركية كما هي الآن لا تستطيع أن تعتمد في سد هذه النفقـات على ما تربحه من بيع الجريدة لان ذلك يكاد لا يكفى عن الورق والحبر . فجريدة التيمس النيويوركية تباع كل صباح في ٣٢ صفحة بحجم المقطم بما يساوى ٤ مليمات ولذلك فجل اعتمادها على الاعلانات وقد لا تقل أجرة الصفحة الكاملة لنشرة واحدة عن الف جنيـه وقد بلغت أجرة صفحة الغلاف الاخيرة في احدى المجلات الاسبوعية الفا وستماية جنيه أو أكثر

ولا تجد فى شوارع نيويورك أولاداً يحملون الجرائد وينادون بأسمائها بل تجد في كل نقطة مهمة كشكا صغيراً أو كبيراً تباع فيه

جميع الجرائد والمجلات. ومما أدهشني أني كنت يوما سائراً في احد شوارع تورنتو بكندا فرأيت صندوقا أحمر فيه الصحف التي ظهرت صباح ذلك اليوم وقد كتب عليه هذه العبارة « ان الولد الذى يعني بهذا الصندوق يرتزق منه فاذا أخذت جريدة ولم تدفع ثمنها فتلك خسارته » فقلت يالها من وسيلة بديعة لبث مبدأي الثقة والامانة في الجمهور . وفي نيويورك ما يماثل ذلك فكثير من حوانيت البقالة تبيع الجرائد يمر الناس أمام أحدها فيأخذ كل منهم الجريدة التي يريدها ويلقي ثمنها على الطاولة وصاحب الحانوت في داخل حانوته لا يلتفت اليهم وأكاد أجزم انه لا يجد نقوده ناقصة حين يعدها

ومن أغرب ما رأيته في سرعة نقل الاخبار وطبعها ونشرها انني كنت ذات مساء في مسرح من مسارح برودواى وكانت حفلة الملاكمة بين فيربو وولز قائمة في مدينة نيوجرزى . انتهت الحفلة الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والخمسون بفوز ولز وخرجت من المسرح في الساعة الحادية عشرة تماما فرأيت جريدة الهرلد وقد طبع في الصفحة الاولى منها وصف الملاكمة بين البطلين دوراً فدوراً حتى آخر ضربة منها وقد استغرق هذا الوصف عموداً ونصف عمود

وتفسير ذلك أن مخبراً عاما كان يذيع بالتلفون اللاسلكي أخبار الملاكمة دوراً دوراً وكان عامل الجريدة يستقبلها بآلتها اللاسلكية ويرسلها لتجمع على الآلة المنضدة (اللينوتيب) رويداً رويداً فما

انتهت الحفلة حتى كانت الاخبار منضدة الحروف جاهزة للطبع

وكل من الجرائد الكبرى تطبع طبعة أحدية هي بالحقيقة مجلة أسبوعية كبيرة تقسم الى الاقسام التالية (١) الاخبار (٢) المقالات الرئيسية والمقالات الخاصة (٣) قسم كالمجلة (٤) تقريظ الكتب ونقدها (٥) المسارح والالعاب (٦) ما يتعلق بالعقارات (٧) قسم مصور بالروتوغرافور (٨) التجارة والاوراق المالية . وبعض الجرائد تضيف صوراً هزلية بالالوان. ولا يقل أحد هذه الاقسام عن ١٢ صفحة بحجم المقطم تباع كلها معا بقرش صاغ أو اكثر قليلا

* * *

واذا جئنا نلخص ما تمتاز به الصحف الاميركية الكبرى وجدنا رخص ثمنها ونزاهتها فى نقل الاخبار وسرعتها في نشرها واستقلالها فى الرأي وانصافها في التعليق والانتقاد وعدم الضن بمال مهما يكن طائلا للحصول على الاخبار التي يهم الجمهور الاطلاع عليها

وسائل الانتقال

فى نيويورك

في اليوم الاول من وصولى الى نيويورك سار بى صديق الى ساحة صغيرة تدعى ساحة الهرلد فى الساعة الخامسة من المساء وهي الساعة التى تقفل فيها أكثر المخازن والمكاتب فتزدحم الشوارع والسيارات والترمو ايات ووسائل النقل الاخرى . ولما بلغنا تلك الساحة رأيناها تموج بالخلق الكثير فحسبت أن هناك مظاهرة ولكن ما لبثت ان رأيت كل واحد مغذاً في سيره لا يلوى على أحد آخر . فقال لى صديقي أحص الآن وسائل الانتقال التى تراها أمامك فانها تمثل جميع وسائل الانتقال في المدينة الكبرى

أجلت طرفي قليلا فرأيت مركبات الترمواى وقد ازدحمت فيها الجماهير حتى لا يستطيع أحد أن يدخل اليها والواقفون فيها الممسكون بسيور الجلد المعلقة من السقف أكثر من الجالسين ولم أر أحداً واقفاً على المارش لان ذلك ممنوع لما فيه من الخطر .

ورأيت سيارات الامنيبوس فاذا بهـــا مثل مركبات الترمواى ازدحاما تسير في الشوارع متمهلة لكبر حجمها وازدحام الطريق ورأيت أمامها ووراءها سيارات الاجرة الحمراء والصفراء وسيارات النقل الضخمة تتجارى كأنها في سباق . ثم حولت نظرى الى فوق فرأيت شبه جسر (كبري) يمتد فوق الافنيو (الشارع) السادس لايدرك الطرف آخره يحجب نور الشمس حتى يكاد الشارع يكون مظلما ويسير فوقه قطار أصفر يدعى « القطار المرتفع » فيحدث فى سيره صوتاً وضجيجاً يصم الاذان . فضحكت من نفسى لانى كنت أتصور أن القطار المرتفع يسير على اسلاك معلقة بين اعمدة وكنت اعجب كيف يتقى الناس خطر وقوعه

التفت حينئـــذ الى صديقي وقلت وسائل الانتقال خمسة ترامواى وامنيبوس وسيارة وقطار مرتفع وو . . فقال ماذا — قلت أقدم وسائل الانتقال فى التاريخ — أوتو اقدام . فابتسم وقال كل هذه الوسائل لا تنقل من الناس ما ينقله قطار النفق هيا بنا الى تحت الارض . ونزلنا سلماً أمامها عمودان علو الواحد منهما نحو ٣ امتار وعلى طرفه الأعلى مصباح ازرق يشير الى محطة النفق فرأيت شبه مدينة مرصوفة جدرانها بالاجر الابيض اللامع ومنارة بالانوار الكهربائية الوضاءة وفيها مكاتب تباع فيهـا جميع انواع الجرائد والمجلات الاميركية ورأيت جموعا من الناس محتشدة علي

الارصفة ، وبين الارصفة خطوط حديدية كثيرة ودهشت حينما رأيت الناس تتجارى الى ركوب القطار الاول كأنَّ لاقطار آت بعده مع أن الكل يعلمون والاحصاءات تدل على ان ١٦ قطاراً تمر في كل من المحطات الكبرى كل دقيقة في نحو تلك الساعة من النهار وكل منها مؤلف من ١٠ عربات كبيرة واسعة تزدحم بالناس حتى لا تستطيع في بعض الاحيان أن تفتح جريدة أو كتابا

وانتقلنا من هذه المحطة الى أخرى تماثلها في كل شيء الا انها تحتها وتخص شركة أخرى تدعي شركة « أنانيب الهدصن » تنقل الناس بين نيويورك و نيوجرزى على الضفة الاخرى من نهر الهدصن

ما كدنا نصل اليها ونرى ما فيها من الجموع المحتشدة ونتنفس الهواء السخن رغم وسائل التهوية الحديثة حتى قلت رباه ضاق صدرى أكاد أختنق . لقد صمت أذناى وبهرت عيناى ، والتفت الى صديقي فقلت له خذني من هنا الى حيث الهواء الطلق والفضاء الرحيب ! فابتسم وقال لا تلبث أن تعتاد كل هذا !

* * *

وبديهى ان هذا كله يحتاج الى تنظيم دقيق اذا اختل قليلا وقف دولاب الحركة في المدينة وشلت الاعمال لان نحواً من مليونى نفس يجيئون جزيرة منتهان صباحاً ويخرجون منها مساء ومعظم هؤلاء يجيئون بين الساعة السابعة والتاسعة صباحا

ويغادرونها بين الساعة الخامسة والساعة السابعة مساء هذا عدا سكان الجزيرة نفسها وهم يبلغون مليونين وربع مليون ولولا توافر وسائل الانتقال على الوجه الذى بينته لم يكن كل ذلك مستطاعا . مع ذلك تجد الناس والصحف يطالبون بزيادة الخطوط والقطرات لانها بلغت أقصى درجة من الازدحام والشركات تطلب رخصاً من الحكومة البلدية لتمد خطوطا جديدة فتأبى هذه اصدار الرخص لانها تريد أن تمد الخطوط بأموالها لتجني الارباح التى تجنيها الشركات. وقد بلغ عدد الذين نقلوا في قطرات النفق فقط في السنة الماضية نحو ١٢٠٠ مليون نفس

ولا بد من ان تعتمد الشركات التي تسيّر هذه القطرات على على الآلات الميكانيكية التي تقوم مقام العمال حتى تبلغ اقصى حد مستطاع من الاقتصاد . فاذا فرضنا ان الشركة تضطر ان تعين في كل مركبة رجلين واحداً لقطع التذاكر وآخر لمراقبتها بلغ عدد مستخدميها في كل قطراتها عدداً كبيراً وهؤلاء يتعذر عليهم في اكثر الاحيان القيام باعمالهم لشدة الازدحام . فماذا تفعل ؟

استنبط أحد المستنبطين دولاباً يدور في جهة واحدة فيوضع منه عدد كاف يحجز المدخل الى رصيف المحطة ولا يدور هذا الدولاب الا اذا أسقطت فيه قطعة نقود قيمتها غرش صاغ وحجمها حجم القرش التعريفة القديم . ويستطاع الخروج من الرصيف بادارة

باب حديدي آخر يدور فى جهة واحدة أيضا فتستغنى الشركة بذلك عن بياعي التذاكر والمفتشين عليها و يبقى فى كل قطار رجلان الواحد يسير القطار والآخر يعلن بتلفون متصل بجميع المركبات اسماء المحطات قبل الوصول اليها

ويستطاع الانتقال بقطار النفق فى نيويورك مسافة عشرين ميلا تقريبا بقرش صاغ وبأقصى ما يستطاع من السرعة . وكل قطرات النفق مبنية من الصلب لا خشب فيها حتى لا تتطاير شظى الاخشاب اذا اصطدم أحدها بالآخر فتؤذى المسافرين ولكي لا تحترق اذا حصل ما يشعل فيها جذوة نار . وهي قسمان كالروافع في في المباني الشاهقة قطرات اكسبرس تسير بسرعة كبيرة بين محطات بعيد بعضها عن بعض وأخرى تقف على المحطات ويظهر أن من المحطات الكبرى محطة التيمس المبنية تحت ميدان التيمس اكثرها ازدحاما فقد جمع فيها فى السنة الماضية نحو ٨٥ مليون غرش أى أن نحو ١٧٠ مليون نفس دخلوها وخرجوا منها بمتوسط نصف مليون كل يوم من أيام السنة. وهذه محطة واحدة من محطات كثيرة

ومن أبدع ما رأيته فى نيويورك مركبات الترمواى الجديدة التى تقفل كل أبوابها فى أثناء سيرها لأن أبواب المركبة تفتح و تقفل بالضغط على زر كهربائي في وسط المركبة وجامع النقود لا يبيعك تذاكر إلا اذا أردت النزول من المركبة لتركب أخري على الخط نفسه وامامه

آلة فيها شق تسقط فيه غرشا صاغا قبل نزولك من المركبة فيدونه عداد كهربائي ويستغني بذلك عن المفتش ولا سبيل الذي يقبض النقود أن يتلاعب بها ..

ومن شروط الاتفاق بين الحكومة وشركة الترمواي أن لا تهبط الحرارة في هذه المركبات أيام الشتاء عن درجة أربعين بميزان فارنهيت والبصق والتدخين ممنوعان منعاً باتاً في الترمواي المقفل وقطرات النفق ومن يخالف ذلك يجاز بدفع مائة جنيه وبالسجن من ثلاثة أشهر الى سنة واندر من النادر أن ترى أحداً يتعدى على هذا القانون

* * *

وهنا لا بد من كلمة عن ادارة حركة النقل في شوارع نيويورك المزدحمة حتى لا تقع حوادث الدوس التي تئن منها المدن الكبيرة بعد تكاثر السيارات في شوارعها . أما نيويورك فلها في ذلك نظام مثلث بديع يساعدها عليه أن شوارعها مستقيمة وتتقاطع في زوايا قائمة . فاذا ركبت الطبقة العليا في سيارة ذات سطحين لفت نظرك ابراج مرتفعة تشع منها الانوار في فترات معينة. أنوار صفراء وحمراء وخضراء . ولهذه الالوان دلالات معينة فالاحمر يدل على وجوب ايقاف السيارة انى كانت في الشارع ومهما تكن المسافة بينها وبين البرج وسواء كان المجال أمامها منفسحا أم لا. والاخضر

يدل على وجوب تجهيز السيارة للسير والاصفر اشارة للسير وهذه الابراج تدار من مركز واحد بآلة من نوع الاتوماطيق. فاذا كانت الاشارة أمامك حمراء كانت فى الشوارع التى تقاطع الشارع الذى أنت فيه صفراء فتقف سيارتك والسيارات التى أمامك ووراءك وتسير السيارات التى في الشوارع الاخرى المقاطعة من غير ان تعرض لخطر الاصطدام. ثم هنالك على كل مقطع مهم اشارة مربعة الشكل كتب على وجهين متقابلين منها « مر » وعلى الوجهين الآخرين « قف » يحركها بوليس واقف الى جنبها حسب الانوار التى تشع من كوى الابراج المذكورة وبذلك يتقى كثير من حوادث الاصطدام التى يكثر وقوعها لولا هذا النظام البديع



*

عن المقتطف

المستر اوكس صاحب جريدة نيويورك تيمس

جريدة النيويورك تيمس

صدر العدد الاول من جريدة النيو يورك تيمس فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٥١ في غرفة حقيرة لا نوافذ فيها ولا تلفون او تلغراف لتلقّي الانباء من المراسلين والمخبرين ولا شيء من المعدات الصحافية الحديثة . وكتبت مقالاتها الرئيسية الاولى على مائدة قديمة متداعية ونور شمعة ضئيل

وهي تصدر الآن في بناء شاهق فخم يتألف من ٢٢ دوراً متسعا مساحة كل دور منها عدا الثلاثة العليا نحو ٢٠ الف قدم مربعة كلها مجهزة باحدث المستنبطات والمبتكرات الصحافية البديعة وسيأتى وصفها بعد . ويطل برج هذه البناية من علوه الشاهق على ما حوله من مدينة نيويورك العظيمة فيرمز الى العمل الذى تقوم به الجريدة كل يوم وهو جمع أنباء العمران من أربعة أقطار المعمور ونشرها بين الناس . ومن محاسن الاتفاق ان كلمة أنباء الانكليزية (NEWS) تتألف من أربعة أحرف ترمز الى

الجهات الاربع الشمال والشرق والغرب والجنوب

ولم يقتصر ارتقاء هذه الجريدة على اتساع ادارتها وفخامتها بل زاد ما يوزع منها في هذه الحقبة أكثر من ١٧ ضعفا فبعد ان كانت توزع ٢٠ الف نسخة في اليوم صارت توزع ٣٥٠ الف نسخة من طبعتها اليومية و ٦٠٠ الف نسخة من طبعتها الاحدية . ويشتغل فيها الآن ما يزيد على الفى شخص بين عامل ومحرر ومراسل ومخبر تتجاوز أجورهم في السنة مليون جنيه وتستهلك كل يوم نحو ١٧٤ طنا من الورق أو ٦٤ الف طن في السنة ثمنها مليون جنيه ومائة الف جنيه ويزيد مقدار الحبر الذى يستعمل فيها يومياً على أربعة أطنان أو ١٥٠٠ طن في السنة ثمنها نحو ٥٠ الف جنيه وتنفق ادارتها على توزيعها بالسيارات والقطرات والطيارات أحيانا ما يزيد على مائتى الف جنيه . والرجل الذى نشلها من هوة الافلاس الى مقام فريد بين جرائد العالم الكبرى رجل عصامي بدأ حياته في بلدة صغيرة بجنوب الولايات المتحدة كمنضد حروف . وقد بلغ ما كسبته هذه الجريدة منذ استولى عليها نحو ٢٠ مليون جنيه وزع منها ٣ في المائة على أصحاب الاسهم والباقي أنفق في ترقية الجريدة وتوسيع اعمالها وهي تملك الآن من العقارات ما يساوى ٣ ملايين جنيه

هذا ما عرفته عن هذه الجريدة قبل ان زرت ادارتها في بنايتها الجديدة ولذلك لما وطئت عتبتها كان يهزنى الاعجاب

بنبوغ صاحبها وبعد نظره وعلا نفسي التهيب اسمو مكانتها واتساع نطاق أعمالها ولكن بعدما سرت في دورها ومكاتبها ورأيت ما يقتضيه اخراجها للناس في ٢٢ صفحة تباع باربعة مليمات من الجهد العظيم المنتظم والعقول اليقظة المدبرة والهمم التى لا تنى ولا تكل صار الاعجاب في ١ كباراً والتهيب اجلالا فقلت اذا كانت بناية ولورث تدعى بحق كاتدرائية التجارة حقّ لنيو يورك ان تفاخر بكاتدرائية أخرى — كاتدرائية الصحافة هذه

***

للشرق في ادارة النيو يورك تيمس صديق حميم يعرف الشرق ويعطف عليه هو الدكتور جون فنلي المساعد الاول لرئيس التحرير. وهو من كبار الكتاب والشعراء الاميركيين. وكان منذ بضع سنوات مديراً للمعارف بولاية نيويورك. واذا عرفت ان حكومة ولاية نيو يورك تنفق ما يزيد على خمسين مليون جنيه فى السنة على المعارف عرفت ما لهذا الرجل من المقام العلمى والادارى . ولما استقال من منصبه انضم الى قلم تحرير التيمس وهذا يدلك على ان الصحافة كانت ولا تزال تغرى الكثيرين من قادة الفكر في خدمة الناس عن سبيلها ويكفى للاستشهاد على صحة ذلك بذكر اسم روزفلت الذى أصبح من محررى جريدة الاوتلوك بعد خروجه من البيت الابيض مسكن رؤساء الجمهورية . ولما كان الدكتور فنلى مديراً

لمعارف نيويورك كانت له علاقة متينة بجامعة بيروت الاميركية ورئيسها المرحوم الدكتور هورد بلس وقد زارها بعد ان فتح الحلفاء سورية

رأيته فيها سنة ١٩١٩ ولما دخلت عليه في مكتبه وقلت له انى من خريجي جامعة بيروت الاميركية وانى قادم من مصر هش وبش ورحب بي كثيراً وجعل يسألني عن أحوال الشرق الادنى عامة وأحوال مصر خاصة وخص بالسؤال صحة زغلول باشا (كانت هذه المقابلة بعد الاعتداء على دولته بثلاثة أسابيع) وطلبت اليه ان يأذن لى في زيارة ادارة التيمس والتفرج على معداتها الحديثة لان ذلك يهمنى كمشتغل بالصحافة فلبي طلبي وعيّن لى من يسير معي ويفسر لى ما قد يغلق على فهمه وحملنى سلاماً طيبا الى بعض الذين لقيهم هنا لما جاء مصر وفلسطين رئيسا لجمعية الصليب الاحمر الاميركية

***

يقسم العمل في جريدة النيويورك تيمس الى ست دوائر الاولى تعنى بجمع الانباء — أنباء السياسية والعلم والتجارة والتمثيل والالعاب والرحلات والجرائم والقضايا وبكلمة مجملة كل حادث يهم الجمهور معرفته او تلذ لهُ . والثانية دائرة التحرير وفيها رئيس التحرير ومساعدوه الذين يكتبون المقالات الرئيسية . والثانية

الدائرة التجارية وهي التي تعني بالاعلانات وتوزيع الجريدة وحسابات الادارة . والرابعة الدائرة الميكانيكية وفي ادارتها الآلات المنضدة والمطابع ونحوها . والدائرتان الباقيتان تعنى أولاهما بالمستخدمين وأجورهم وأحوالهم والثانية تراقب أعمال الاقسام المختلفة

أما دائرة الانباء فقلب الجريدة النابض لان رواج الجريدة وانتشارها رهن ما تنشره من الانباء ففيها تتجمع الاخبار الواردة من مختلف انحاء المعمورة بالبريد أو بالتلفون أو بالتلغراف السلكي أو اللاسلكي أو بواسطة شركات الاخبار . وعلى رأس هذا القسم المحرر المدير المستر فان اندا الذى يحسب نابغة الاخبار في صحافة اميركا فهو كقائد كبير تحت لوائه جيش من المراسلين والمخبرين يزيد عددهم على ثلثمائة شخص متفرقون في جميع الانحاء يتسقطون الاخبار . أما هو فله مقدرة فائقة على تلمس الاخبار قبل وقوعها فيبرق الى كاتبيه من مكتبه في نيويورك ينبههم الى ما قد يحدث في دوائرهم المختلفة ويرسم لهم الخطط التي يجب عليهم اتباعها .واذا كان قائد جيش يقصر عمله على الميدان الذي يحارب فيه فهذا القائد الصحافى ميدانه العالم المتمدن باسره عالم السياسة وعالم العلم وعالم الفن وعالم التجارة وعليه ان يرسم الخطط ويبعث بكشافته لكشف الاخبار واذا ونى دقيقة واحدة سبقه قائد صحافي آخر الى ضالته

واذا تكرر هذا الامر أصبح منصبه في خطر ومقام جريدته متقلقلا . والجريدة النيويورك تيمس مكاتب دائمة فى لندن وباريس وبرلين ورومية وموسكو عدا ما لها من المراسلين فى مختلف المدن الاخرى في جميع قارات العالم

وتقسم دائرة الاخبار الى مكتبين أحدهما يدعى مكتب المدينة والآخر يدعى مكتب التلغراف فتجتمع في الاول اخبار كل الحوادث التى وقعت في مدينة نيويورك وما بجوارها في دائرة قطرها مئتا ميل ومركزها نيويورك وتجتمع في المكتب الثانى كل الانباء الواردة بالتلغراف السلكى او اللاسلكي او بالتلفون البعيد أو البريد من سائر مدن اميركا ومختلف انحاء المعمور . وعلى رأس مكتب المدينة رئيسان رئيس نهارى ورئيس ليلى يدعيان محرر المدينة النهارى ومحرر المدينة الليلى وتحت تصرفهما نحو مائة وسبعين مخبراً منهم ٢١ للالعاب الرياضية فقط

يجيء المحرر النهارى في الصباح فيعين لكل مخبر من مخبريه الجهة التى يسعى فيها أو الحادثة التى يبحث عن حقائقها ويضع بذلك جدولا يتسلمه المحرر الليلى حين تسلم العمل ويسير عليه مع التبديل الذى يراه لازماً

ولا يقبل المساء حتى تنهال على ادارة الجريدة الاخبار من قريب ومن بعيد من مراسليها الخصوصيين فيالخارج ومن شركات

الاخبار ومن المخبرين في المدينة فتقسم كلها الى قسمين كما تقدم ويوزعها المحرر المختص على مساعديه فيعطى كلا منهم ما يطابق ميله واستعداده . فيصلح كل منهم ما في يديه ويحذف منه أو يزيد عليه من غير ان يشوه الحقائق . ولهؤلاء المحررين خطة ثابتة لا يحيدون عنها وهى ان يتركوا التعليق على الحوادث مدحاً أو ذماً لقلم التحرير وان تقتصر دائرة الانباء على وصف دقيق للحوادث وان لا يتحزبوا فى تصحيح الانباء التى تتعارض مع خطة التيمس والا يضنوا على خصومهم السياسيين بمدح هم جديرون به . بعد ذلك يمر كل من محرر المدينة ومحرر التلغراف على المسودات بعد اصلاحها وتنقل الى غرفة تنضيد الحروف بحاملات كهربائية لتنضد حروفها

وفي الوقت نفسه يكون المحررون قد اجتمعوا بصاحب الجريدة المستر اوكس حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا في غرفة فخمة فاخرة الرياش وفى وسطها مائدة مستديرة وتداولوا البحث في الموضوعات المهمة ورسموا الخطة التى تسير عليها الجريدة في هذه الموضوعات ثم يوزعها رئيس التحرير — المستر اوغدن — على مساعديه فيكتب كل في الموضوع الذى يجيده . ومما تفاخر به التيمس انه مامن محرر فيها طُلب اليه ان يكتب شيئاً مخالفا لعقيدته الشخصية . وخطة الفصل بين دائرة التحرير ودائرة الانباء متبعة

هنا فلا تكيف الاخبار كما يروم رؤساء التحرير بل يبني هؤلاء آراءهم على الانباء التي تطبعها الجريدة من غير ان يغيروا فيها حرفاً واحداً

ولقسم التحرير مكتبة فيها نحو ٢٠ الف مجلد من خيرة الكتب والموسوعات يرجعون اليها حين الحاجة لكي يكون ما يكتبونه مؤيداً بالشواهد والادلة . وهذا ما يجعل لجريدة التيمس مقاماً خاصا ومكانة عالية بين الناس فهي بالحقيقة مدرسة جامعة ويكفيها فخرا انه ما من جامعة أو كلية في الولايات المتحدة الا وتحفظ أعداد التيمس اليومية وتجلدها لترجع اليها كمستند يوثق به

ومن أجمل ما رأيته علي جدران هذه المكتبة الواح من الزجاج الملون عليها رسوم تمثل ارتقاء الصحافة منها رسوم للمطابع القديمة التي كانت تدار باليد والمطابع التى تستعمل الا ن ورسوم للحروف لما كانت تنضد باليد وأخرى للمنضدات الكهربائية ورسوم كثيرة للوسائل المختلفة التى تنقل بها الصحف واخبارها — وقطار الصحف والطيارة واعمدة التلغراف السلكى ومحطات التلغراف اللاسلكى والآلات الكاتبة والفوتوغرافية وغيرها من الوسائل القديمة والحديثة المستعملة في الصحافة

ان جل اعتماد الصحف الكبرى في سد نفقاتها على الاعلانات ولا غرو فان ما تحصله ادارة التيمس ثمن النسخ التى تبيعها ينقص

ستة آلاف ريال كل يوم عما تنفقه على ثمن ورقها فقط وقد سارت التيمس فى الاعلانات كما فى التحرير على خطة محافظة رشيدة فهى لا تقبل اعلاناً الا اذا تكفل أصحابه بصحة ما فيه ولا تنشر اعلاناً الا بعد ان يراقبه مراقب خاص ويرتبهُ ترتيباً يجعل منظرهُ رائقا للعين وهذا ما جعل لها شهرة بعيدة فىأمر الاعلانات وقد زادت اعلاناتها فى ٢٨ سنة ١٢ ضعفاً كان مجموع ما تنشره من الاعلانات نحو مليوني سطر فى السنة فصار ٢٤ مليونأو أكثر واذا حسبنا ان أجرة السطر الواحد نصف ريال وهو أقل مايمكن ان يكون بلغ دخلها من الاعلانات ١٢ مليون ريال فى السنة

هذه هى المواد التى تتألف منها الجريدة الانباء والمقالات الرئيسية والاعلانات

***

أما المعدات الميكانيكية الحديثة المستعملة فى جريدة النيويورك تيمس فتنقسم إلى قسمين عامين الاول يشمل كل ما يستعمل فى دوائر التحرير الثلاث أي دائرة الانباء ودائرة المقالات الرئيسية ودائرة الاعلانات ومعظمها من المستنبطات الحديثة للمخاطبات والثانى يشمل ماله علاقة بتنضيد الحروف وطبع الجريدة

في الدور الثالث من بناية التيمس ثلاث غرف مبنية حتى لا تخترق الاصوات جدرانها فى إحداها تسع آلات كاتبة تتصل رأساً

بشركة التلغرافات الشهيرة المعروفة باتحاد الصحافة (اسو شيتد برس) فبدلا من أن تتلقى هذه الشركة الانباء وتطبعها وتوزعها كما تفعل شركة روتر بمصر وصلت ادارة التيمس بينها وبين مكتب الشركة بأسلاك خاصة ترسل عليها الانباء حال وصولها إلى مكتب الشركة وتطبعها هـذه الآلات الكاتبة طبعاً آلياً أى من غير وساطة طابع فتى أو فتاة وذلك بسرعة ٦٠ كلمة في الدقيقة وتنقل الاوراق التى تطبع عليها الانباء حوامل كهربائية إلى مكتب التلغراف فى دائرة الانباء

وإلى جنب هذه الغرفة غرفة أخرى للتلغراف اللاسلكي دخلت اليها فوجدت فيها شابين وقد وضع كل منهما على أذنيه سماعة مزدوجة وأمام كل منهما آلة كاتبة يكتب عليها من آن إلى آخر . نظرت إلى ما يكتبه أحدهما فاذا به بالفرنسية فسألته عن مصدر الرسالة قال باريس ومدارها على جمعية الامم وخطبتى مكدونلد وهريو وأخذ السماعة فوضعها على أذنى فسمعت الاشارات المستعملة فى « شفرة مورس الدولية » ولكنى لم أفهمها طبعاً

ما أعظمك أيها العقل البشرى : لقد أخضعت لقوتك العناصر فتغلبت على الارض والجو والماء وربطت القارات بأسلاك من حديد وحبال من نحاس وها أنت تطوق الكرة الآن بأمواج لطيفة تنقل بها افكارك وأقوالك بل ومظاهر عواطفك وانفعالاتك . وإذا

كان من أمل في ربط شعوب الارض بعضها ببعض وتوطيد أركان السلام وبث مبادىء التعاون والوئام فالأمل الوحيد في العلم الثابت النزيه الذي يترفع عن الحروب التي تشتبك فيها الوطنيات والمطامع ويشترك في فوائده جميع البلدان . هذا ما جال في خاطري لما قال لي الرجل انك تصغي الى باريس - وهي على نحو أربعة آلاف ميل!

وانتقلنا الى غرفة متسعة تدعى غرفة « اتحاد الاخبار والبرقيات » فيها نحو ٦٥ آلة تلغراف يبقى ما يزيد على نصفها في شغل متواصل فتنقل كل يوم نحو ٧٠ الف كلمة تصل إلى التيمس من مراسليها في الخارج وترسل على أسلاك خاصة الى بعض الجرائد الكبرى المشتركة بها كجريدة الشيكاغو تربيون والغلوب دمقراط في سانت لويس والغلوب بتورنتو كندا والهرلد ببوسطن وغيرها من الصحف في اميركا وفي استراليا

ولجريدة التيمس هذه عدا ذلك أسلاك تلغرافية خاصة منها سلكان يصلانها بمكتبها في وشنطون وآخر يصلها بمكتبها بشيكاغو وآخر بالمحطة اللاسلكية التي هلفاكس في الشمال الشرقي من الولايات المتحدة

هذا من حيث المعدات التلغرافية أما المعدات التلفونية فلا تقل عنها . ففي ادارة التيمس ٨٥ سلكا تلفونية يتشعب منها في البناء نحو ٢٩٠ شعبة ويشتغل على لوحة السنترال الخاصة بها ١٤ عاملة

تلفون يتناوبن العمل في الليل والنهار وعدا ذلك لها أسلاك خاصة تصلها بمكتبها في وول ستريت الشارع المالي ومكاتب البوليس وغيرها من الاماكن التى يجب الاسراع في الحصول على أنبائها . وهنالك أسلاك خاصة بالمخاطبات التلفونية البعيدة . وفى الصيف يستعمل سلك خاص بين إدارة الجريدة ومصيف صاحبها . وكذلك تجدفي غرفة أخرى متسعة ثلاثين فرعا تلفونياً يقتصر استعمالها على الاعلانات الموجزة التى ترسل بالتلفون ومعدل المخاطبات التلفونية اليومى فى جريدة التيمس نحو ٢٥٠٠ مخاطبة. وعدا ذلك هنالك نظام تلفوني خاص يصل دوائر الجريدة بعضها ببعض فيه نحو ٢٠٠ فرع

وليس من الغرابة أن المحررين والمخبرين فى جريدة كبيرة كهذه يحتاجون في كل دقيقة الى استطلاع أمور تتعذر معرفتها لولا أن إدارة الجريدة عنيت بجمع كل ماتخطر معرفته لصحافي من المعلومات في غرفة تحوى أعداد التيمس القديمة مجلدة مع فهرس عام لها منذ سنة ١٩٠٥ ومجلدات الجرائد الاخرى المهمة وموسوعات كبيرة وخرائط واضحة وفهارس عامة وخاصة وزادت على ذلك ما يسميه الصحافيون هناك بالمورغ أي المدفن وهو خزائن معدنية لا تحترق تشغل الجانب الاكبر من جناح الدور الثالث الغربى وتقسم الخزائن فيه الى قسمين الاول فيه فهرس عام للاشخاص والثاني للحوادث والاول يحوى قصاصات من التيمس وجرائد أخرى تدور محتوياتها على مائتى الف

شخص يستطاع استعمال ما فيها في لحظة من الزمان وهذه المجموعة تزاد كل يوم بما يقصه أناس منقطعون لهذا العمل والقسم الثاني فيه قصاصات أيضاً من أشهر الجرائد والمجلات عن ثلاثة آلاف موضوع فاذا جاء في الدقيقة الاخيرة قبل طبع الجريدة خبر يتعلق بشخص من الاشخاص أو حادث من الحوادث بحث المحرر المختص في هذه الفهارس وجمع من المعلومات ما يكفي لانشاء مقالة مسهبة

هذه هي المعدات التي لها علاقة بالتحرير أما المعدات الميكانيكية التي لها علاقة بتنضيد الحروف وطبع الجريدة فأهمها منضدات الحروف المعروفة باللينوتيب ومنضدات الاعلانات المنمقة المعروفة وآلات الطبع الضخمة والمطابع المستعملة في طبع الملحق المصور والمصور الاسبوعي

أما منضدات الحروف فعددها ٧٩ منضدة وإذا عرفت أن العامل على المنضدة العربية يشتغل مثل أربعة أو خمسة من منضدي الحروف باليد عرفت مقدار العمل الذى تقوم به هذه المنضدات فى ٢٤ ساعة من العمل المتواصل

أما منضدات الاعلانات المنمقة فغريبة من غرائب الاستنباط وذلك أن الحروف في الاعلانات الكبيرة المنمقة يجب أن تكون من أشكال مختلفة تروق العين وتلفت النظر وهذه يتعذر جمعها على المنضدات العادية فاستنبطت آلة المونوتيب وهى آلة كاتبة على

لوحتها جميع أشكال الحروف · يرسم المصور الاعلان ويكتب ازاء كل سطر من سطوره نوع الحروف التي يجب أن يجمع منها فيضرب العامل بأصبعه على تلك الحروف فيحرك مخلا والمخل يحرك دبوساً يثقب ورقة في شكل اسطوانى وحينما ينتهى العامل من عمله تكون هذه الاسطوانة قد صارت كثيرة الثقوب تشبه (ملفات البيانولا) ثم تؤخذ هذه الاسطوانة وتوضع فى آلة فيها مزيج من الرصاص والقصدير والانتيمون فتسبك منها الحروف كما أشار اليها المصور أولا

أما المطابع فمن نوع هُو HOE وهي ضخمة لا يقل ارتفاع الواحدة منها عن ٤ أمتار وطولها عن ستة أمتار أو سبعة

وفي إدارة التيمس منها ٢٠ مطبعة تطبع فى الساعة الواحدة معاً ٤٠٠ الف نسخة من جريدة يختلف حجمها من أربع صفحات الى ٦٤ صفحة . والمطابع كلها في الدور الاسفل من البناء وهو تحت مستوى الشارع ومساحته ٢٨٥٠٠ قدم مربعة . وقوة المحركات الكهربائية التى تدير هذه الآلات نحو ١٦٠٠ حصان . وتنقل الجرائد المطبوعة من غرفة المطابع الى غرفة التوزيع بناقلات كهربائية

وهناك عشر مطابع أخرى تطبع الصور بالروتوغرافور . ترد الصور على الادارة من كل أنحاء العالم وتحفر على اسطوانات من النحاس حفراً لا محل لبسطه هنا وتطبع هذه المطابع ٩٠٠٠٠ نسخة في الساعة من ملحق مصوّر بثماني صفحات حجمها كحجم المقطم أو أكبر قليلا

هذا ما استوقفني في ادارة التيمس من المعدات الميكانيكية والكهربائية البديعة . وغنى عن البيان ان الانارة والتهوية وسائر الوسائل الصحية على أتم مايرام تكفل راحة المشتغلين فيها وصحتهم . ومما يدل على عناية صاحب الجريدة براحة العمال انه قصر جانبا من هذا البناء على مستشفى صغير فيه طبيب جراح وممرضتان وغرف مرضى وغرف للعمليات الجراحية المستعجلة وأجزاخانة . وهناك ناد فخم ومكتبة وحديقة معلقة يجتمع فيها العمال في ساعات فراغهم ومطعم تباع فيه أجود أنواع الاطعمة وأنظفها بلا ربح أو بربح قليل. وزد على ذلك فقد وضع نظاما وافيا لمعاشاتهم وللتأمين على حياتهم

ولجريدة النيويورك تيمس مطبوعات دورية كالتاريخ الجارى وهو مجلة شهرية تصدر فى نحو ١٧٠ صفحة واسمها يدل على موضوعها والانالست صحيفة أسبوعية مالية والمصوَّر الاسبوعي هو غير الملحق المصور الذي يطبع مع الطبعة الاحدية والطبعة الاحدية تصدر فى نحو ١٠٠ صفحة كبيرة وتباع بقرش صاغ

* * *

فى اليوم الاول لما دخلت بناية التيمس لقيت أحد كبار الموظفين فسألته عن ساعات العمل فقال: «هي أربع وعشرون ساعة في اليوم . اننا لا نقف عن العمل » ولعل في هذا الجواب المفحم سر هذه العظمة وهذا النجاح

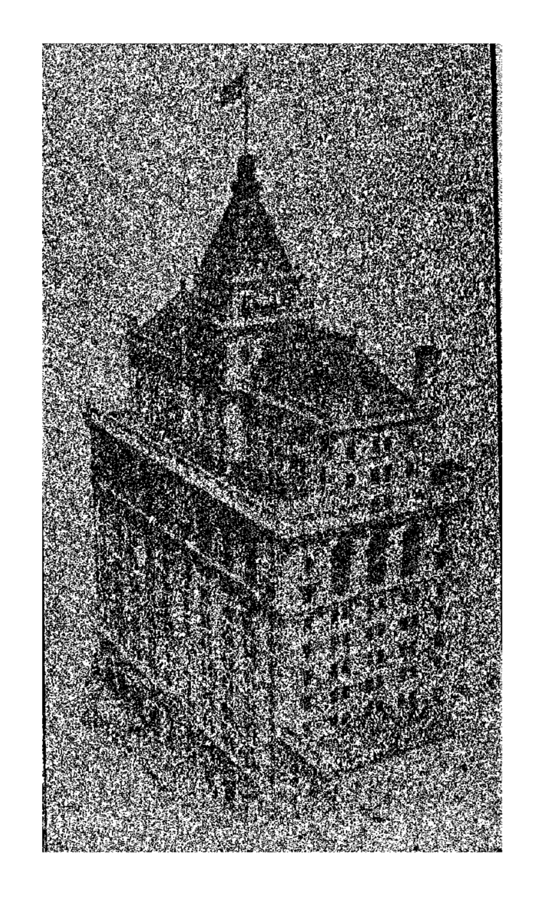
فى ادارة جريدة كبيرة

حين العمل

كنت منهمكا أجمع المواد لأكتب مقالة بهذا العنوان وإذا بصديق يلقي على مكتبي كتابا عنوانه « الصحافة » ما بدأته حتى شغفت بما فيه عن هذه المهنة الشاقة المستحبة لما فيها من المشاق وعثرت فى آخر الكتاب على فصل في الموضوع الذى كنت أنوي الكتابة فيه فلخصته فيما يلي محتفظا بلغة محررى الصحف حين يكونون في المطبعة بين العمال والمصححين

فى الساعة الاولى والدقيقة العاشرة من صباح الاثنين الواقع في ١٥ ابريل سنة ١٩١٢ فتح محرر التلغراف في احدى الصحف الاميركية الكبرى ظرفا من ظروف « اتحاد الصحافة » وقرأ فيه ما يأتي : —

« كايب رايس . مساء الاحد ١٤ ابريل — الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرون ليلا . طلبت التيتانيك المساعدة من محطة مركونى وتقول أنها التطمت بركام من الجليد . وهى تطلب المساعدة بأسرع ما يستطاع » .



عن المقتطف

بناية نيو يورك تيمس

نظر المحرر الى ساعته فاذا هي الساعة الاولى والدقيقة العشرون فعلم انه لم يبق لديه سوى خمس دقائق قبل أن تمثل الجريدة للطبعة الاولى التي ترسل بالبريد الى الجهات البعيدة فنادى ولداً وأعطاه التلغراف وقال :

خذ هذا الى منضدى الحروف وقل لهم إنه يجب جمعه على عمودين وسأرسل اليهم العنوان في الحال وقل للمحرر الليلى أن يفسح لنا مجالا على الصفحة الاولى على عمودين لنضع فيه أخبار التيتانيك

ولم تمض دقيقة من الزمان حتي كنت ترى كل واحد يعمل عملا ثم كتب هذا المحرر العنوان هكذا بحروف كبيرة تلفت النظر :

التيتـــــانيك تغرق

فى وسط الاقيـــانوس

التطمت بركام جليد

ثم نادى ولداً ولكن الولد كان حاضراً لان كل احد في ادارة جريدة كبيرة مفروض عليه أن يميز الانبـاء المهمة ويكون على استعداد للقيام بعمله من غير ونىً . خذ هذه الورقة وقل المنضدين هذا عنوان المقالة التي سننشرها عن التيتانيك :

ثم كتب تلغرافا قصيراً ونادى ولداً آخر وقال له قل لعامل

التلغراف أن يوقف الاخبار التى يتلقاها الآن وليفسح لى طريقا مع منتريال كندا

وهذا ما كتبه إلي مكاتب الجريدة في منتريال:

جاء تلغراف من كايب ريس فيه ان التيتانيك التطمت بركام من الجليد وهي على وشك الغرق وتلح في تطلب المساعدة . أرسل الينا على جناح السرعة كل كلمة تستطيع الحصول عليها في هذا الموضوع وسيبقى الطريق مفتوحا لك خاصة حتى الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين »

ياولد ! - إعط هذا لعامل التلغراف وابحث لى عن أعداد الجريدة التى فيها التلغراف الموجز عن التيتانيك وهل انتهي طبعها فى ميعاد البريد

فعاد الولد في الحال وقال نعم

وكان محرر المدينة قد لبس رداءه يستعد للخروج لان عمله قد انتهى إلا أنه لما رأى أهمية الحادث خلع رداءه وعاد إلى مكتبه

واجتمع محرر المدينة بمحرر التلغراف والمحرر الليلى واقتسموا العمل فتولى الادارة محرر المدينة

فنادى ولداً وقال جئنى بكل الجرائد التى صدرت فى ١١ ابريل واصعد إلى قسم الكليشهات وقل لهم ان يتركوا كل عمل آخر بين أيديهم ويصنعوا لنا في الحال ثلاث كليشهات للباخرة تيتانيك . ثم

التفت الى المحرر الليلي وقال له اكتب مقالا صِفْ فيه الباخرة . فقد أُرْسِلَت الينا معلومات كثيرة منذ أيام قلائل ولم ننشرها كلها وقد وضعتها في ظرف في المحل الفلاني . خذها وابن عليها، وصف في مطلعها عظم النكبة . ثم جرّب أن تحصل على قائمة بأسماء المسافرين عليها . أكتب كلمة عن سمث قبطانها .عين مخبراً ليذهب الى ادارة شركة النجم الابيض و ايوافنا من هناك بما عندهم من الاخبار عن باخرتهم

فعاد المحرر الليلي الى الطاولة المستديرة وقد اجتمع حولها المخبرون يصححون بعض المسودات فالتفت الى أحدهم وقال له — أكتب ما تستطيع الحصول عليه من أسماء المسافرين في التيتانيك لانها التطمت بركام جليد قرب نيوفوندلند وهي على وشك الغرق

والتفت الى آخر وقال أكتب مقالا تصف فيه الباخرة في سفرتها الاولى ولكن صف النكبة وهولها في بدء المقالة حتى تلفت الانظار

والتفت الى ثالث وقال له اكتب مقالا موجزاً عن سمث قبطان الباخرة

وأدار بصره فرأى مخبراً جالساً ولا عمل في يديه فقال له هات قبعتك ورداءك في الحال . واذهب الى مكتب شركة النجم الابيض وأرسل الينا بالتلفون كل ما تستطيع أن تعلمه عن التيتانيك التي على وشك الغرق قرب نيوفوندلند

ثم التفت الى مخبر آخر وقال خاطب شركة النجم الابيض بالتلفون وسلهم عما عندهم من الانباء عن التيتانيك . ابحث عن مدير الشركة في نيويورك وعن عنوانه ونمرة تلفونه

ثم قال لولد واقف بقربه هات لى كل ما لديكم من صور التيتانيك وصورة ربانها سمث

فركض اثنان فى الحال الواحد يبحث عن صور الباخرة والآخر عن صور ربانها وذلك لان صور الاشخاص تحفظ فى مكان منفصل عن المكان الذى يحفظ فيه الاشياء . وعادا فى أقل من دقيقة فقال المحرر الليلى لاحدهما قل لرئيس القسم الفنى أن يصنع كليشها للتيتانيك على ثلاث أعمدة وكليشها للقبطان سمث على عمودين

ما كاد ينتهى المحرر من عمله هذا حتى أخذت الاخبار ترد على الادارة من اتحاد الصحافة

فجعل محرر التلغراف يرسل ما يتصل به الى المنضدين جملة جملة . أما ما كان يجرى في غرفة التنضيد فلا حاجة الى وصفه. ترك معظم العمال كل ما لديهم وجعلوا يشتغلون بأخبار التيتانيك وكان أحد العمال يضع عدداً على كل جملة تأتيه من المحرر حتى يسهل ترتيبها متى نضدت على منضدات مختلفة

والتفت محرر التلغراف الى الولد ثانية وقال قل لعامل التلغراف أن يرسل الى مكاتبنا بهلفاكس تلغرافا كالتلغراف الذى أرسلناه الى

مكاتبنا بمنتريال . ابحث عن اسم مكاتبنا في هلفاكس في السجل الخاص بالمكاتبين

والتفت المحرر الليلي الى المسودات فوجد مقالة تصف وصول باخرة تدعي « الكارمانيا » فيها شيء عن ركام الجليد التي لاقتها فى طريقها فسأل عن كاتبها . وقال له خذ هذه المقالة وزد عليها هنا وهناك ما يصور للقراء كثرة اركام الجليد . ولكن يجب أن لا تغير في متن المقالة شيئا اذ ليس لدينا متسع من الوقت لتنضيدها ثانية . لديك نصف ساعة . اكتب ما عليك كتابته فى ثلث ساعة واعطها للمنضدين

ثم التفت المحرر الى مخبر أمامه وقال ابحث عن أسماء المسافرين فى الباخرة « بلطيق » والباخرة « أولمبك »

في تلك الاثناء كان المكاتب من منتريال قد شرع يرسل ما أتصل به من الاخبار على خط تلغرافى خاص وحذا حذوه المكاتب من هلفاكس

التفت محرر المدينة الى رجاله وقال لهم . لم يبق لدينا سوى خمس دقائق لنشر ما لدينا في النسخ التى توزع في المدينة . فلنسرع !

هذا وكان محرر التلغراف يتلقى أخبار منتريال ومساعده يتلقى أخبار هلفاكس وآخر يتلقى أخبار اتحاد الصحافة وعاد المخبر الذى ذهب الى شركة النجم الابيض بقائمة المسافرين في التيتانك

وعددهم ١٣٠٠ شخص

وكانت مسودات ما كتب ونضد عن التيتانك قد أُعدّت وجاءت الى مكتب المحرر المدير فكان يبدى ما لديه من الملاحظات الى محرر المدينة وهذا يوزعها على من تحته ليصححوها

ونظر محرر المدينة الى ساعته فقال . قد انتهى الوقت . واذا بمحرر التلغراف ينادي الولد ويقول له خذ هذا الى المنضدين ونصه:

الساعة ١٢ والدقيقة ٢٧ : وردت اشارات مبهمة مؤداها أن النساء وضعن في قوارب النجاة — وان ثلاث بواخر كانت مسرعة لاغاثة المسافرين والبحارة معا وعددهم ٢١٦٠ شخصاً

وصاح محرر المدينة برجاله هيا بنا يا اخوان يجب أن نبدأ الطبع الساعة ٣ والدقيقة ٢٠ . فلنفاجيء المدينة بجريدة كاملة الاخبار

كانت الحماسة آخذة مأخذها من الجميع . وكل الذين كانوا في الادارة كانوا يعملون بهمة وعزم . هنا صوت الآلات الكاتبة . وهناك صوت آلة التلغراف أو صوت جرس التلفون أو صوت الانابيب التي تصل بين غرفة المنضدين وغرفة المحررين. والماكينات مستعدة لالتهام الورق واخراجه الى الناس صفحات كلها حقائق وأخبار

والتفت المحرر الى ساعته وقال الساعة ٣ وربع . كل كلمة يجب أن تنتهي الساعة ٣ والدقيقة ٢٠

وجعل يسير من مكتب الى مكتب يراقب المحررين

ثم صاح بهم لقد انتهى الوقت المعين نضيف ثلاث دقائق لمن لم ينجز عمله بعد

واجتمع المحرر المدير ومحرر المدينة ومحرر التلغراف ينظرون الى الاعمدة وعناوينها التى ستذيع بين الناس صباح الغد ذلك النبأ المؤلم

وجلس المخبرون والمحررون يضحكون ويدخنون . وجاءت أخبار أخرى ولكن لم يكن فيها شيء جديد. وفي الساعة ٤ والدقيقة ٣٠ ارسل مكتب اتحاد الصحافة اشارة « ليلتكم سعيدة » ولكن في تلك الساعة كانت المطبعة قد مضى عليها ساعة تلتهم الورق والحبر فى طبع الجريدة

السوريون في اميركا

— ١ —

« ماضرهم انهم في الارض قد نثروا   فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
أسطولهم أمل في البحر مرتحل   وجيشهم عمل في البر مقترب »

هذا ماقاله شاعر النيل في السوريين فأصاب بقوله كبد الحقيقة ولخص أحوالهم في المهاجر المختلفة في ثلاث معان جمعها في بيتين كريمين من الشعر

فالباخرة التي قطعت عليها الاوقيانوس الاتلنتيكي ذاهباً الى العالم الجديد كانت تقل ثلاثة من السوريين أحدهم تاجر في جزيرة كوبا قدم باريس ليشتري من حرائر فرنسا وأقمشتها لمخازنه وعرج في رجوعه على نيويورك لا كمال عمله هذا والثاني تاجر سوري مركز أعماله في طهران عاصمة فارس كان ذاهباً الى نيويورك للمفاوضة مع شريك له في تجارة السجاد ولم يثنه عن ذلك جهله باللغات الاوربية . والثالث كان تاجراً سورياً في منتريال بكندا زار وطنه

الاول وكان حينئذ فى طريقه الى مقر أعماله — وطنه الثاني — والباخرة التى أقلتنى عائداً من العالم الجديد كان عليها ثلاثةسوريين أيضاً أحدهم تاجر فى عاصمة بلاد المكسيك كان ذاهباً الى باريس لشراء البضائع الجديدة والاطلاع على أحدث الازياء وقد قال لي انه يرحل مثل هذه الرحلة مرة في السنة على الاقل : والآخر تاجر سورى أميركي كان قاصداً الى فلورنسا والبندقية بايطاليا لمراقبة فروع تجارته فيها وهي من نوع تطريز الكتان وتخريمه . والثالث طالب طب كان قاصداً الى جنيف عاصمة سويسرا للتخصص فى أحد فروع الطب. وقد كثر فى السنوات الاخيرة التجار السوريون الذين يسافرون الى الشرق الاقصى الى اليابان والصين وجزائر فيلبين لمراقبة فروع متاجرهم فيها . ويلوح لى انه مامن باخرة كبيرة أو صغيرة تقطع الاتلنتيكي ذهاباً وايابا الا وتقل سورياً فى قلبه أمل وفى يده سيف العزمة والعمل

فالغريزة التجارية التى ورثها السورى عن أسلافه الفينيقيين وفقر بلاده والاحوال السياسية فيها فى أثناء الحكم العثمانى حملته الى أربعة أقطار المعمورة فتراه فى الصين واليابان وجزائر فيلبين وكل جمهوريات أميركا الجنوبية والولايات المتحدة وكندا ومعظم بلدان أوربا وله فيها معامل ومتاجر وصحف وجمعيات وأندية ومعابد . وهاك مايقوله الدكتور تلكت وليمز الرئيس السابق لمدرسة الصحافة

بجامعة كولومبيا بنيويورك « لا أعرف مدينة أميركية لم أتكلم فيها العربية (ولد الدكتور وليمز فى لبنان وشب فيه) وليس من مرفأ على بحر كريب يخلو من سوريين وقد عثرت على سوري منذ خمس وعشرين سنة فى الجنوب الغربي من المغرب الاقصى شمالي جبال الاطلس يقود شرذمة من جنود الحدود وينتظر هجوم قبائل وادصور المستقلة ليرد غاراتها »

ويصعب جداً التثبت من عدد السوريين فى الولايات المتحدة لانهم كانوا يذكرون في احصاءات الولايات المتحدة مع سائر الشعوب المهاجرة من تركيا في آسيا وقد اختلف الباحثون في أحوالهم فى تقدير عددهم فقال الدكتور روبرتس أن عددهم يبلغ ستين الفاً وقالت مجلة اللتررى ديدجست انهم لا يزيدون على اربعين الفا . ولكن ثبت من تقرير مدير المهاجرة العام ان نحواً من ٩٠ الف سورى دخلوا الولايات المتحدة بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩١٩ . ويرى الدكتور حتى[1] انه اذا اعتبرنا التقرير المذكور وعدد السوريين الذين دخلوا الولايات المتحدة فى العشرين السنة السابقة

---

(١) الدكتور فيليب حتي من أساتذة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية ومن أساتذة جامعة كولومبيا بنيويورك سابقا كتب بحثا ضافيا موضوعه « السوريون في الولايات المتحدة » نشر في المقتطف منذ ثلاث سنوات وقد طبع كتابا بالانكليزية في هذا الموضوع نفسه ومنه أخذت معظم الاحصاءات والحقائق المذكورة هنا

لسنة ١٨٩٩ وعدد الذين ولدوا فيها وماتوا أو رجعوا الى وطنهم الاول صح لدينا أن نقدر عددهم بمائتي الف نفس. وهم منتشرون في جميع الولايات ويؤثرون المدن على الارياف واكبر جالياتهم في مدينة نيويورك ودترويت وبوسطن تتلوها شيكاغو ووستر ماس وكليفلند وبتسبرغ

* * *

شارع وشنطون في نيويورك من أوله الى آخره شارع سورى على الغالب فيه ادارة جريدتين عربيتين هماجريدتا الهدى ومرآة الغرب وبنك لبناني ومكتبة عربية وشركة بواخر وسفريات ومحل تجارى كبيرهو محل آل فاعور ومكاتب تجارية أخرى وفندق لبناني ومطاعم تجد فيها كل ما تشتهيه من انواع الكبيبة والتوابل والسلطة والمجدرة وغيرها من المآكل السورية البحت حتى الصعتر المدقوق والفستق الحلبي المملح . لكنه شارع زرى وفى معظم الاحيان شارع قذر ومما يعزيني انه ليس مرآة الجاليـة السورية في نيويورك رغما عن اشتهاره بذلك. فكبار التجار من السوريين نشأوا فيه وترعرعوا ولما شعروا بقوة مالية يستندون اليها اتخذوا لهم مكاتب فى أفخم شوارع المدينة وأغناها أعنى ففث افنيو. هنالك تجد مخازن بردويل اخوان وتادرس وملوك وصباغ وغيرهم في أفخم المبـاني الشاهقة وكلها نظيفة منظمة على أحدث الاساليب الاميركية. وكبار التجار

من السوريين في الغالب يشتغلون بأنواع الكتان المطرز أو المزركش وهي التى من قبيل ثياب السيدات والبياضات وأغطية الموائد وستائر النوافذ ومعظمها يصنع فى ماديرا والفيلبين وايطاليا والصين واليابان. وللتجار السوريين الكبار كبر دويل وملوك وصباغ وغيرهم معامل في جميع هذه البلدان أو في معظمها . حدثنى أحدهم قال انهم يشترون الكتان من زرع مصر ونسج كورتره بالبلجيك ويطرزونه في فلورنسا والبندقية بايطاليا ثم يستوردونه الى الولايات المتحدة فيدفعون عليه نحو ٩٠ في المائة رسوما جمركية ويبيعونه فيها بأرباح غير قليلة . وقد جاء في تقرير القنصل الاميركي في منشال بجزائر مديرا أن صناعة التطريز في منشال انتقلت فى الحرب وبعدها من يد الالمان الى يد السوريين وأن أربعة عشر معملا من خمسة وثلاثين معملا فيها أصحابها سوريون . وقد أعلن أحد المحال التجارية السورية في نيويورك فاستعمل لاعلانه خريطة العالم ودل فيها على أن له معامل في اليابان والصين وجزائر الفيلبين وايطاليا وفرنسا وجزائر مديرا . وقد ثبت أن للسوريين ٢٥ معمل حرير فى مدينة نيوهوبوكن بولاية نيوجرزي

ولهذه المخازن التجارية سماة في الارياف أصبحوا بواسطة الاوتوموبيل من القوائم التى تقوم عليها هذه المخازن . يتعاقد أحدهم مع محل تجاري كبير ويشترى أوتومبيلا يطوف به الارياف

والمدن الصغرى حاملا معه نماذج من بضاعة محله يعرضها في غرف خصوصية يستأجرها في الفندق الذى ينزل فيـــه أو يعرضها على سيدات تعرف اليهن بواسطة أحد أصدقائه وهولا يزور سيدة منهن الا بعد أن يخاطبها بالتلفون ويتفق معهـا على ميعاد الزيارة فيحفظ بذلك كرامته ومقامه

والسوريون الذين يشتغلون بهذه الاصناف عصاميون بنوا لهم مقاما تجاريا يحسدون عليـه وجمع بعضهم ثروات طائلة تحسب بملايين الريالات وبنى بعضهم بيوتا فخمة في أجمل أحياء السكن في نيويورك وبروكلن . لقيت تاجراً في مدينـة وشنطون عاصمة الولايات المتحدة عرفني اليه إمام السفارة المصرية فيها الشيخ محمد طاره ولما سألته عن تاريخ قدومه الى أميركا قال جئت صغيراً لا أعرف شيئاً من القراءة أو الكتابة أو مبادىء العلوم فجعلت ادأب واشتغل حتى جمعت مبلغا قليلا من المال فعزمت أن اتعلم. دخلت مدرسة ولكن ما لبثت ان وجدتني انفق من نقودى ولا استفيد فائدة توازيهـا فقلت انا استطيع ان أجمع مالا بلا علم فلماذا اتعلم فاخسر من مالى ولا استفيد ما يقابله ولذلك تركت المدرسة واستأنفت التجارة وها أنا امامك الآن . ثم نهض وأخـذ عن مكتبه جريدة اراني فيها بناء شامخا فقلت ما هذا قال اقرأ فقرأت فاذا به بناء له في أفخم حي بمدينه وشنطون فيـه ٧٢ شقه للايجار ولا يتم بناؤه قبل ان ينفق عليه ما يزيد على نصف مليون ريال

ولا ينحصر عمل السوريين فى التجـارة بل منهم كثيرون يشتغلون بالبدالة (البقالة) ويقال أن في دترويت ما يزيد على ٣٠٠ بدال وقد قال لى أحد الذين لقيتهم فيهـا أنه لو أضرب البدالون السوريون عن العمل أسبوعا واحداً تعـذر على سكان دترويت أن يجدوا طعاما كافيا لهم . ولاحد الدروز في مدينة فلنت بولاية مشيغن ١٥ دكان بدالة ويحسب ثالث بدال في الولاية كلها

وقد كان السوريون قبل الحرب يرغبون بوجه عام عن الاشتغال في المصانع والمعامل ولكن كثيرين منهم الآن يشتغلون في مسابك الحديد ببتسبرغ ومعامل الاتوموبيلات بدترويت وكليفلند ومعامل الحرير في باترسن ووست هوبوكن ومقامهم فيهـا أعلى من سائر عمال المهاجرين وهم بطبيعتهم يتجنبون الاشغال التى تضطرهم الى البقاء تحت الارض كالمنـاجم ولا يزالون يرغبون عن الفلاحة والزراعة لاسباب جمة أهمها وحدة الفلاح الاميركى وميل السورى الى الحياة الاجتماعية وضرورة معرفة اللغة الانكليزية ووجود رأس مال فى البدء وهما أمران غير متوافرين فى المهاجر السوري الجديد

هـذه بوجه عام أحوال السوريين المعاشـــية في الولايات المتحدة . وغنى عن البيـان أن منهم أطباء ومنهدسين ومحامين ووعاظا ومصورين وموسيقيين فقـــد لقيت هناك سيدة سورية رخيمة الصوت عرضت عليها شركة فونغراف برنزوك خمسة آلاف ريال لكل اسطوانة فرفضت لانها تطمع باكثر من شركة أخرى

السوريون في أميركا

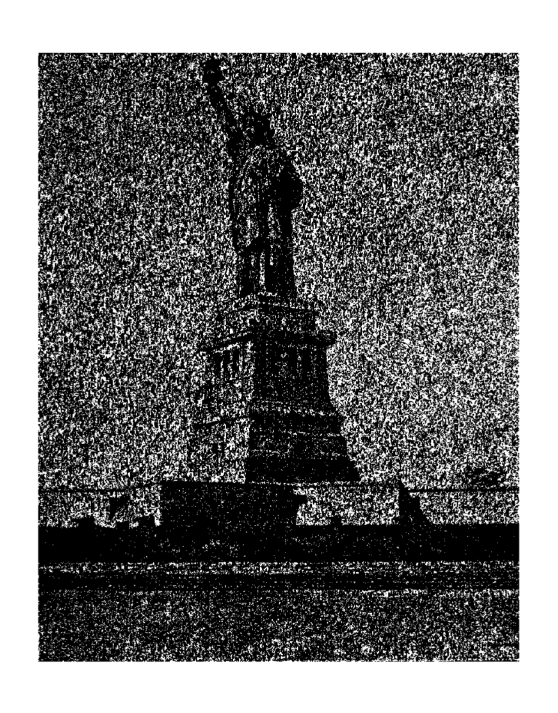
— ٢ —

فتح العرب الاندلس بالسيف ووطدوا فيها أركان دولتهم ونشروا فوق ربوعها اعلام حضارتهم ونبغ منهم فيها الادباء والشعراء والفلاسفة فانشأوا الكتب البليغة ونظموا قلائد الشعر الرشيق وافتنوا فيما نظموه وانشأوه ايمّا افتنان في المعاني والاوضاع والاوزان كأن البلاد الجديدة التي نزلوها غزاة أوحت الى قرائحهم الصور البديعة والاستعارات الجميلة لما فيها من جمال الطبيعة وجلالها — حدائق غناء ورياض فيحاء وغدران صافية وأطيار مغردة وجبال شامخة ووهاد ظليلة

ونزل السوريون أميركا الشمالية يحملون بين ضلوعهم حباً جماً للغة التي تغنوا بموسيقاها صغاراً فانصرفوا الى الكفاح في ميادين الحضارة العملية المادية التي لا ترأف بالفاتر ولا تشفق على المغلوب. خاضوا غمار الجهاد مع الملايين من شعب غريب عنهم في لغته

وعاداته وأساليبه وهم عزل من كل سلاح سوى مضاء العزيمة والسعي الصحيح . لكن الجهاد المادي في أرض نزلوها ضيوفاً لا غزاة لم ينسهم لغة آبائهم واحبابهم وذوي قرباهم فانشأوا الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية وانبروا على صفحاتها سياسيين وشعراء وتجاراً ونقاداً فجددوا للغة الضاد عصراً زاهياً في بلاد نائية عن خدورها الصميمة يعيد الى الاذهان عصر الادب الزاهر في الاندلس واذا كانت الاندلس القديمة تفاخر بابن هانيء وابن سهل وابن زيدون ولسان الدين ابن الخطيب فالاندلس الجديدة تفاخر بجبران والريحاني وأبي ماضي ونعيمه وعريضه وغيرهم . ولهؤلاء فضل على اسلافهم في أنهم لم يكونوا في البلاد الجديدة التي نزلوها أصحاب دولة أو نشب يتوسلون بهما لبسط ارائهم ونشر لغتهم واعلاء شأن أدبهم

نأى هؤلاء الادباء عن ربوع العربية فانطلق مجال الفكر أمامهم حراً من تقاليد الاقوام الناطقة بها وتعلموا اللغة الانكليزية وغيرها من لغات الامم الحية فانجلت أمامهم آداب غنية بما فيها من فن وحكمة وجمال وتسربت من تلك الآداب أساليب جديدة الى أساليبهم واوحت اليهم نفوسهم في محيطهم الجديد معاني ومقاييس ومبادىء جديدة امتزجت في بوتقة نفوسهم الشرقية الحساسة الغنية وراثة بحب الحكمة والجمال فصاروا ينظرون الى الحياة نظرة أوسع



تمثال الحرية

من نظرتنا فى الشرق ان لم تكن أعمق منهـا واقتضى ذلك رأيا جديداً فى الادب يحسن بنا ان ننظر اليـه بعين الروية والاعتبار لانه نما بينهم نمواً ولم يضعوه وضعاً وتحكماً

نظروا من جهة الادب العربي وقد استحكمت فيه قيود التقليد ودرسوا معظم الادباء المعاصرين فرأوهم بارعين جداً فى تنميق العبارة خالية من شعلة الحياة تتقد بين كلماتها وتسميط الكلام لا يعبر عن شعور حقيقي يمتلك الفؤاد أو عاطفة قوية تملأ جوانح النفس أو فكر خاص جاء به الاختبار والتأمل في الحياة. ورأوا من جهة أخرى الآداب الغربية ترتقى ارتقاء سريعاً وتسير في ارتقائها على سنن النشوء فلا يرضى أبناؤها ان يتقيدوا اليوم بما جرى عليه اسلافهم في القرن الثامن عشر او التاسع عشر مثلا لان النظرة التى ينظرها ابن القرن العشرين الى الحياة هي غير النظرة التى كان ينظرها ابن القرن الثامن عشر او التاسع عشر والادب الراقى ليس سوى تعبير بليغ عن نظرة خاصة فى الحياة

رأوا ذلك فجاءوا يعالجون المشكل تحدوهم الغيرة وتجمعهم فكرة التجديد فى الادب العربي ونبذ التقليد المجحف بحقوق المقلد والمقلد فألفوا لذلك « الرابطة القلمية » التى نشرت مجموعتها لسنة ١٩٢٢ وفيها طائفة من أبلغ ما كتبه أدباء المهجر نثراً وشعراً

وعندى ان ممثلى هذه الفكرة من الذين شاهدتهم هناك ثلاثة

هم جبران وأبو ماضى ونعيمه. ذكرتهم لا لان غيرهم يقل عنهم مقاما وغيرة ولكن لانهم يمثلون ثلاثة وجوه من وجوه التجديد فى الادب العربي أو ثلاثة عناصر لا بد منها فى أية نهضة أدبية هى الفن والشعر والنقد

أما جبران فشاعر روحاني وفنان رمزى والاسلوب الذي جرى عليه فى ترجمة روحانيته يفى بمطلوبه لانه كثير الرموز بسيط المنهج واضحه يخضع لجمال الصياغة الفنية وقد ظهر أثر جبران في الادب العربي في كثرة اقبال القراء على كتبه واقبال كثير من الكتاب على الاخذ بأسلوبه

ولجبران فوق ذلك مقام فني كبير بين المصورين والكتاب الاميركيين وقد طبع ثلاثة كتب انكليزية كتبت على طريقة الامثال بلغة انكليزية رشيقة وزينت بالصور الرمزية من ريشته الساحرة فانتشرت انتشاراً واسعاً وأعيد طبع بعضها غير مرة. وقد جمع ثروة غير قليلة من التصوير وهو عميد الرابطة القلمية

أما ايليا أبو ماضي فشاعر ملء روحه الشاعرية ولد وترعرع فى لبنان وشب في وادى النيل وامتلأت أعطاف روحه وفكره في ظل تمثال الحرية فطبعت نفسه بجمال الطبيعة في لبنان وعرف جلال التاريخ ومفاخره فى مصر وقبل أن يبرح العالم القديم كان قد تذوق البلاغة العربية الصميمة فلما جاء ينظم في الموضوعات التى أوحاها

اليه فكره في محيطه الجديد جاء نظمه متيناً سلس السياق صافي الديباجة سامي الخيال طافحا بالشعور . وهو الآن المحرر الاول في جريدة مرآة الغرب وله على صفحاتها جولات في النقد الادبي تنم على فكر رائق وذوق صاف وقوة نقد بعيدة الغور ونثره كشعره يمتاز بمتانته وسلاسته يبعد في كليهما عن اللفظ النافر والتركيب المعقد . وقد طبع الجزء الثاني من ديوانه في أميركا وهو يهتم بطبع الجزء الثالث الآن وقد نشر له المقتطف حديثاً قصائد «الزمان» و «السجينة» و «الحجر الصغير» و «الطين» و «الكمنجة المحطمة» وكلها تدل على نزعته الطيبة في الشعر

أما مخايل نعيمه فقد أتى مسألة التجديد في الادب واللغة من ناحية النقد أقدم عليه غير هياب لما يثيره عليه من عاصفة لانه أدرك ان لا بد لكلماته من صدى في نفوس بعض الادباء من ذوي الاطلاع الواسع والفكر المحرر فيتعاونون معاً على وضع مقاييس جديدة ومبادىء جديدة في تقدير الآثار الادبية وتعيين مقامها الفني. وقد نشر كتابه « الغربال » في ذلك . ولا أتولى هنا البحث في الغربال فاني أخاف أن لا أتفق والاستاذ نعيمه في جميع أحكامه الخاصة مع أني على وفاق تام معه في أحكامه ومقرراته العامة . على أني أريد ان أقول ان اطلاع الاستاذ نعيمه على الادب الروسي والادب الانكليزي وكلاهما يأبى التقيد باغلال التقليد حركا فيه

نزعة قوية الى التجديد في الادب العربي واللغة العربية لعلها اكثر تطرفا فيه منها في غيره من ادباء المهجر. ولي أمنية واحدة أود كثيراً لو يستطيع الاستاذ نعيمه تحقيقها وهي ان يجيء خدراً من خدور اللغة العربية كمصر مثلا ويعيش فيه سنة على الاقل فيتسع اطلاعه على احوال الادب العربي الذي شغف باصلاحه فيكون انتقاده بعد ذلك اكثر فائدة وأهدى الى محجة الصواب . ولا يفوتني هنا أن أذكر لنعيمه قصائد تنم على شاعرية لطيفة أبدع في بعضها في وصف الطبيعة ومشاهدها كما في قصيدته النهر المتجمد

* * *

الصحافة العربية في الولايات المتحدة حرية بكل اعجاب وثناء والصحف العربية تتجاوز عشراً معظمها في نيويورك منها يومي سياسي ومنها مايصدر ثلاث مرات في الاسبوع ومنها شهري .وفي مقدمة الجرائد اليومية السياسية جريدة الهدى لصاحبها نعوم مكرزل ومرآة الغرب لصاحبها نجيب دياب وكل من الجريدتين قطعت السنة الخامسة والعشرين في جهادها الصحافي وتصدر الآن في ثماني صفحات كبيرة وتنضد حروفها على منضدات عربية ويتفاوت عدد النسخ التى توزع منها بين خمسة آلاف نسخة وسبعة آلاف وجل اعتمادهما على المشتركين . خمس وعشرون سنة من الجهاد الصحافي هى خمسة وعشرون سطراً ذهبياً في الصفحة الناصعة التى

خطها السوريون فى المهجر !

أما جريدة السائح فصحيفة أدبية عامة دخلت فى سنتها الثالثة عشرة تصدر ثلاث مرات فى الاسبوع اصاحبها الكاتب الظريف عبد المسيح الحداد مؤلف كتاب « حكايات المهجر » وهو كتاب فذ في اللغة العربية دوّن فيــه احوال السوريين فى حكايات كلها ظرف وأدب. وقدجعل جريدته ميدانا لاعضاء الرابطة القلمية وغيرهم من الكتاب ودارها ندوة لهم يجتمعون فيها كل يوم فيتناولون بابحاثهم السياسة والادب والعمران . ولكن المحور الذى تدور عليه ابحاثهم هو الادب العربى والصحافة العربية وجميعهم تهزهم الغيرة عليها ويرجون لها مستقبلامجيداً ويعملون مافى وسعهم لتحقيق ذلك

وهناك مجلات عربية راقية أيضاً اهمها مجلة الاخلاق والمجلة التجارية السورية الاميركية والثانية مفردة فى اللغة العربية بابحاثها الاقتصادية والمالية وصاحبها سلوم افندي مكرزل شقيق صاحب الهدى وعنده مطبعة عربية حديثة تطبع فيهــا المطبوعات العربية طبعا متقنا جداً .

ويجب الا أنسى هنا جهاد مجلة الفنون لصاحبهــا الاديب الشاعر نسيب عريضة فقد كانت مثالا المجلات الادبية الفنيــة الراقية فى جودة ورقها واتقان طبعها واختيــار ما ينشر فيها من مقالات وصور .

هذا موجز لجهاد السوريين بالمهجر الاميركي فى سبيل الادب العربى والصحافة العربية وهو جهاد أقل ما يقال فيه انه حرى بالاعجاب والثناء ولكن مما يؤسف له ان المهاجرين الجدد الى اميركا صاروا قليلين جداً بحكم قانون المهاجرة الجديد والذين ولدوا فيها من والدين سوريين قلما يعنون باللغة العربية وآدابها ولذلك قد لا تمضى عشرون سنة اخرى حتى يصير هذا الجهاد من مكفنات التاريخ .



شلالات نياغرا

لو قُضي عليَّ أن أنسى كل المشاهد العظيمة التي شاهدتها في العالم الجديد إلا ثلاثة منها وخيرت في أي الثلاثة أستبقي لاخترت بلا تردد مباني نيويورك الشامخة وشلالات نياغرا الهدارة وتذكار لنكن الساذج المهيب في وشنطون . فالمشهد الاول يمثل عقل أميركا المبدع وفكرها المبتكر وقوتها المالية . والثاني يمثل جمال الطبيعة وروعتها وغناها في تلك البلاد الجميلة الغنية . والثالث يمثل قلب أميركا الكبير النابض حباً بالانسانيـــة وعطفا على كل مشروع خيري عمراني

* * *

يقول الدكتور حتي في كتابه « أميركا في نظر شرقي » إذا وقف الاميركي على شاطىء المياه الفاصلة بين بروكلن ونيويورك فكر في انشاء جسر (كبري) تمرّ عليه القطر والسيارات وتنقل عليه الركاب والبضائع أما الشرقي فاذا وقف الوقفة نفسها فربما نظم

قصيدة . واذا نظر الغربي الى شلالات نياغرا أعمل الفكر في تحويل القوة المائية الى قوة كهربائية تنير المدن المجاورة وتسير القطر والعربات . أما الشرقي فربما غنى موالا

ساق الدكتور حتى ما تقدم ليبين الفرق بين النزعة الشرقية الروحية في الحياة والنزعة الغربية العملية وعندي أنه على جانب الحق في ذلك . على أني لا أستطيع أن أدرك كيف يزور الدكتور حتى أوغيره من ملايين الناس شلالات نياغرا ويقفون أمام ذلك المنظر الطبيعي الرائع بجماله الجميل بعظمته وقوته وقد تطاير زبد الماء المنحدر فأخفى قليلا في زرقة الشلال المخضرّة ، ولا كيف يسمعون ما شاع في الوادي من هدير الماء الهدّار وأنينه ولا يلمس ذلك المنظر أعماق نفوسهم ولا تحرك تلك الانغام أقسى الاوتار في أشد النفوس نزعة الى العمل والربح المادي .

واذا لم يكن لهذا الشلال مقام خاص لدى الاميركيين والانكليز من حيث جماله فكيف نعلل معارضة الرأي العام في استخدام جميع المياه المنحدرة لتوليد الكهربائية ؟ كلا ان جمال نياغرا لا يخص أميركا أو كندا بل هو ارث للبشرية جمعاء ، وجميع الذين يسعون لتفهم الطبيعة ومشاهدها لهم حق عليه يردع الاميركيين والكنديين عن تحويله الى كهربائية لو اتفقوا على ذلك . إن نياغرا هي القبلة الاولى لعشاق الطبيعة وما من منظر يساويها فيما توحيه الى النفس

من معانى العظمة والقوة والجلال

على أني لا أريد أن أنظم قصيدة في وصف الشلال ، لا خوفا من الدكتور حتي وان كان له عليّ حرمة الاستاذ بل لانى كلما حاولت أن أعبر عن الشعور الذى استولى عليّ ساعة أطللت عليه أعيانى القول وتلعثم لساني ونبا الكلام عن الاذعان لمرامي فأرجع الى نفسى أتملّى شعورى من جميع نواحيه وأحاول ثانية ان أعبر عنه فلا أجد ابلغ من معنى كلمة نياغرا في لغة الهنود الحمر وهو « رعاد الامواه »

* * *

الشلال قسمان تفصل بينهما جزيرة كان يحسبها الهنود الحمر مقدسة ترفرف فوقها روح عظيمة . فالقسم الذى الى الضفة اليسرى في شكل حدوة فرس ويعرف بهذا الاسم بالانكليزية وهو واقع في ولاية أونتاريو بكندا علوه ١٥٨ قدما وطول المنحدر الذى ينحدر منه الماء نحو ٢٤٠٠ قدم . وأما القسم الآخر الذى الى الضفة اليمنى فواقع في ولاية نيويورك بالولايات المتحدة وعلوه ١٦٧ قدما واتساعه ١٤٠٠ قدم . وحيث ان الماء الذى ينحدر من هذين الشلالين يجيء من بحيرات أميركا الكبرى فهو ماء صاف نقي خال من الشوائب وصفاؤه هذا يزيد جماله حين اندفاقه وانحداره وتطايره زبداً وارغائه في الوادى الضيق الذي يجرى فيه . واعترافاً بما لهذا

الشلال من المقام الفريد كمشهد طبيعي اتفقت حكومة ولاية نيويورك وحكومة ولاية أونتاريو بكندا أن تقتطعا حوله أرضا واسعة الارجاء جعلتاها روضا أريضا فيه الاشجار الباسقة والازهار الزاهرة والطرق المنتظمة النظيفة تتعرج بين الخمائل الخضراء وأكثرتا فيه من وسائل اللهو وتمضية الوقت والتفرج على مناظر الشلالات المختلفة بحيث لا يتعرض المتفرجون الى خطر ما . وينفق على هذا الروض من مال الحكومتين فيتمتع به الزوّار الذين يقصدون الى كعبة الجمال الطبيعي ولا يقل عددهم في السنة عن مليون نفس ونصف مليون .

لكن جمال الشلالات مهدَّد بما في مياهه المنحدرة من القوة الكهربائية العظيمة . فمتوسط الماء الذى ينحدر منه في الثانية ٢٢٤ الف قدم مكعبة ولا يقل في وقت الشح عن ١٦٠ الف قدم مكعبة سدسها ينحدر من الشلال الاميركي والباقى من الشلال الكندى . فاذا استخدم كل هذا الماء مع كل الانحدار بين بحيرة إرى وبحيرة أونتاريو تولد منه قوة تساوي ١٥ مليون حصان تشتغل ٨ ساعات فى اليوم أو قوة آلات بخارية تشتغل مدى السنة وتحرق ٥٠ مليون طن من الفحم

على ان جانبا صغيراً من هذه القوة مولد الآن ولا يزيد على ٦٦٠ الف حصان تستعمل على الجانب الاميركي ونحوها على الجانب الكندي فينير بها الناس شوارعهم ومبانيهم وحدائقهم ويديرون

معاملهم وينظفون بيوتهم ويحلبون أبقارهم ويعملون بهـا مئات الاعمـال الصغيرة والكبيرة ولاينفقون أكثر من ٤ ملاليم على الكيلووط الواحد. وقد نشأ في المدن القريبة من نياغرا صناعات كبيرة أشهرها صـناعات المركبات الكياوية وزاد السكان في بلدة نياغرا ستة أضعاف في أقل من ثلاثين سنة

لكن استعمال ماء الشلالات لا يزال مقيداً بقوانين شديدة. فان الرأى العام فى أميركا وكندا انقسم الى فريقين في نظره الى الشلال. قال الفريق الاول بوجوب تحويل المياه كلها الى قوة كهربائية واستخدام هذه القوة فيما ينفع النـاس . وقال الفريق الآخر ان تحويل الماء الى الآلات التى تولد منه الكهربائية يفقده كثيراً من من جماله وروعته ولذلك يجب الوقوف عند الحد الذى بلغوه الآن وقد اتفقت حكومة الولايات المتحدة مع حكومة بريطانيا على أن يسمح لحكومة أونتاريو بتحويل ٣٦ الف قدم مكعبة فى الثانية لتوليد القوة الكهربائية ويسمح لحكومة ولاية نيويورك بتحويل ٢٠ الف قدم مكعبة للغرض نفسه. والمفاوضات دائرة على تحويل ٤٠ الف قدم مكعبة أخرى لتوليد القوة الكهربائية والمهندسون يرون ان تحويل هذا المقدار لا يضر بمنظر الشلال ويتولد منها قوة قد تساوى ٣٠٠ الف حصان

بقيت مسألة علمية مهمة ترتبط بشلال نياغرا وأصله وعمره .

وهذا أمر اختلف فيه علماء الجيولوجيا على انه بعد البحث الكثير في أنواع الصخور التي حفرها نهر نياغرا بين الشلال وبحيرة أونتاريو وعمق الوادي الذي حفره رجّح ان هذا العمل الطبيعي لا يتم فى أقل من ٢٥ الف سنة . وقد ظهر من بحث المهندسين الاميركيين والكنديين ان شلال الحدوة أى الشلال الكندى يحفر المنحدر الذى يهبط منه نحو ٦ أقدام الى ١٢ قدم فى السنة ويظهر ان معظم هذا الحفر يقع في مقعر الحدوة وهذا يؤدى الى تجمع الماء عند رأسها ويقل انتشاره على جانبيها . والمهندسون الآن ينظرون فى ملافاة ذلك لانه اذا استمر بضع سنوات أخرى فقد الشلال الكندى كثيراً من جماله وعظمته

* * *

لو كان نياغرا نهر الكنج فى الهند لرأيت الناس يفدون عليه زرافات ووحدانا ليغتسلوا بمائه المقدس وليستمدوا من جماله ونقائه مبادىء روحانيتهم الرائعة . ولكن الاميركيين غير الهنود فانهم لا يرون في الطبيعة شيئا سوى وسيلة لاظهار عظمة الانسان وقد نصحو يوما فترد علينا الانباء أنهم حولوا كل أمواه نياغرا الرّعادة الى قوة كهربائية !! أعوذ بالله من حيف الانسان !

تذكار لنكن فى وشنطن

﴿ نشأة لنكن ﴾ ولد ابرهيم لنكن الرئيس السادس عشر من رؤساء الولايات المتحدة فى ١٢ فبراير سنة ١٨٠٩ وكان ابوه أميًا يعمل آنا بالزراعة وآنا بالتجارة . وماتت أمه وهو فى التاسعة من عمره فتزوج ابوه ثانية فى السنة التالية . وكان لزوجة ابيه اثر كبير فى نفسه لانها كانت تحثه على طلب المعارف . وكانت الولاية التى نشأ فيها لاتزال قليلة السكان قليلة المدارس ووسائل العمران فعاش فيها عيشة تكاد تكون بدوية فكان ينام فى خيمة من اغصان الاشجار ويحرث الارض وحينما بلغ الحادية والعشرين من العمر لم يكن يعرف شيئا اكثر من قواعد القراءة والكتابة البسيطة. يؤخذ من ذلك انه نشأ عصاميا لم يعتمد على علم حصله اومال ورثه او جاه يفاخر به ثم زاول التجارة حينما تعلق اثناءه على المطالعة والدرس . وسافر فى صباه فى مهمة تجارية الى نيواورلينس اكبر مدينة فى الجنوب فعرف عن كثب مساوىء الرق

ثم انشأ يدرس القانون باشارة أحد أصدقائه فدخل فى معترك السياسة وجعل يتقلب في المجالس التشريعية فى عاصمة ولايته ثم فى الكنغرس بوشنطن يوم له ويوم عليه . لكنه مالبث ان ظهرت براعته كخطيب بليغ ومناظر قوي الحجة فرشحه الحزب الجمهورى لرآسة الجمهورية سنة ١٨٦٠

وكان سكان الولايات الشمالية من قبل وأعضاء الحزب الجمهوري بوجه خاص قد أخذوا يستنكرون الرق المنتشر فى ولايات الجنوب وكان لنكن شديد الوطأة فى مقاومة أساليب الاسترقاق . لذلك حينما رشحه الحزب الجمهوري للرآسة صرح زعماء الولايات الجنوبية أنهم يرون الانسحاب من الاتحاد الاميركى اذا فاز الجمهوريون وعلى رأسهم لنكن لان هذا الفوز يعنى ان الحكومة فى وشنطن لاتحترم قوانين الولايات التى تسوغ الرق

وكان الفوز حليف لنكن فى الانتخابات فأعلن في خطبته الاولى ان الوحدة الاميركية لاتحل وان كل عمل غايته فصم عراها باطل وصرح بعزم حكومته على الدفاع عن حقوقها وسلطتها ولو بالقوة ونفى القول بأنه ينوى مهاجمة الولايات الجنوبية والتحكم بها . ثم حاول ان يحافظ على الوحدة من غير أن يلجأ الى القتال فلم يقابله زعماء الجنوب بالمثل وألفوا جمهورية وانتخبوا لها رئيساً فثارت الحرب الاهلية التى دامت نحو أربع سنوات وكان الفوز فيها للشمال

أي حزبه . واقترح الكنغرس سنة ١٨٦٥ التعديل الثالث عشر للدستور الاميركي الاساسي بعدقرارات كثيرة من جانب الرئيس وهذا التعديل يقضي بتحرير العبيد والغاء الخدمة الاجبارية في الولايات المتحدة أو كل بلاد تحت سيطرتها يستثنى من ذلك الخدمة الاجبارية اذا كانت قصاصاً من قبل القضاء . وأعيد انتخاب لنكن سنة ١٨٦٤ ولكن أحد المتهوسين اغتاله في ١٤ ابريل سنة ١٨٦٤ وهو في أحد مسارح وشنطن فمات صباح اليوم التالي

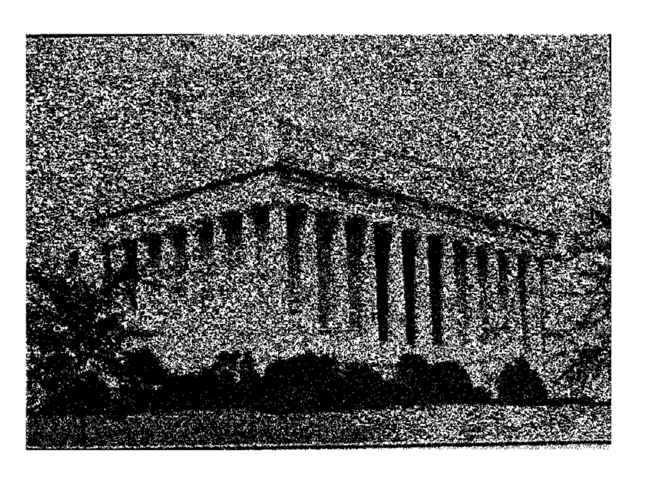
﴿ تذكار لنكن ﴾ سئل المستر ولز الكاتب الانكليزي الشهير أن يسمي الرجال الستة الذين يحسبهم أعظم رجال التاريخ فجعل لنكن أحدهم . وقال « ان في لنكن أكثر من أي أميركي آخر تتجسم الصفات التي تمتاز بها الامة الاميركية عن غيرها من الامم . انه يمثل المساواة في الفرص التي تتاح هناك للجميع على السواء . وارتقاؤه يؤيد حق كل طفل مهما يكن حقير المولد في أن يصل بعزمه وكفاءته الى أرقى المناصب . ان سذاجته وصبره وتفاؤله الناجم عن اعتقاده بسيادة الحق أعظم ما تستطيع أن تهبه أميركا للعمران وهو هبة ثمينة » فاذا أضفنا الى ذلك ان لنكن جعل تحرير العبيد والمسترقين في أمته غايته القصوى وانه خاض غمار حرب لتأييد تلك الغاية التي هددت الولايات المتحدة بفصم عرى اتحادها وانه قضى شهيداً بيد أحد المتهوسين عرفنا ماله من المقام الرفيع بين

الاميركيين ، وأدركنا سبب مابذلوه من العناية في اقامة تذكار يليق بماله من المكانة فى نفوسهم والمقام فى تاريخ العمران

***

ترى البناء متربعاً كالليث فوق أكمة، يشرف من الجهة الواحدة على نهر البوتوماك وهو الحد الفاصل بين الشمال والجنوب اللذين قضى لنكن في سبيل المحافظة على وحدتهما . ويطل من الجهة المقابلة على بناء الكابتول وقد ارتفعت قمته الفخمة فوق مبانى العاصمة رامزة الى الوحدة التى أيدها بدمه . وتلمح خطوطه المنسجمة البيضاء من مدافن ارلنغتون حيث تثوى رفات الابطال الذين قتلوا فى الحرب الاهلية لافرق بين قتلى الشمال وقتلى الجنوب فيمثل استحكام روابط المودة والاخاء بين الفريقين

وهو من أفخم المبانى الاميركية وأبدعها فناً واتقاناً شكله مربع مستطيل مبني برخام ناصع البياض . في خارجه رواق معمد طوله ١٨٨ قدما وعرضه ١١٨ قدماً فيه ٣٦ عموداً على النسق الدورى علو كل منها ٤٤ قدما وقطره عند قاعدته ٧ أقدام وخمس بوصات وهذه الاعمدة ترمز الى الولايات الست والثلاثين التى كانت الولايات المتحدة تتألف منها فى أيام لنكن . وفوقها ثمان وأربعون لوحا من الرخام تفصل بينها أكاليل منقوشة وقد حفر فى كل منها اسم ولاية من الولايات الثمانى والاربعين التى يتألف منها الاتحاد



عن المقتطف

تذكار لنكن في وشنطن

الاميركي الآن . تنظر من الداخل خلال الاعمدة الى جهة الكابتول فتلفي مرجا أخضر تتوسطه بركة ماء مربعة مستطيلة كأنها مرآة صافية الاديم وتبصر عند طرفها الثاني نصب وشنطون وهو بناء منطاد في شكل مسلة مبنية من قطع الرخام علوها ٥٥٥ قدما . فكأن بناة هذين الاثرين أرادوا أن يجمعوا في حيّز واحد ذكرى الرجل الذي أوجد الوحدة الاميركية وذكرى الرجل الذي حفظها من أن تعبث بها يد التفرقة والانحلال

قال هنري باكون المهندس الذي وضع رسوم هذا التذكار « مذ علمت بالنية على اقامة تذكار للنكن شعرت ان تذكاراً كهذا يجب أن تكون فيه أمور أربعة . أولا تمثال له وثانيا تذكار لخطبة جتسبرج [1] وثالثا تذكار لخطبة رآسته الثانية ورابعا رمز لوحدة الامة الاميركية التي حارب ومات في سبيل حفظها سليمة »

فالوحدة تجدها ممثلة في الاعمدة الستة والثلاثين والالواح الثمانية والاربعين التي فوقها كما تقدم . أما الامور الثلاثة الباقية فتجدها ممثلة في الغرفة الوسطى والغرفتين الى جانبيها

طول الغرفة الوسطى ٧٠ قدما وعرضها ٦٠ قدماً وعلوها ٦٠

(١) جتسبرج ميدان من ميادين الحرب الاهلية الاميركية دارت فيه معركة دامية انتصرت فيها جنود الشمال . وبعد انقضاء سنة على تلك المعركة أقيمت فيها حفلة تذكارية خطب فيها لنكن خطبة موجزة تعد آية في البلاغة والتسامح وسمو العواطف وهي المقصودة هنا

قدما وقد أقيم في صدرها تمثال كبير الحجم للرئيس لنكن من صنع المستر دانيال تشستر فرنش وجهه متجه الى المدخل وعيناه شاخصتان الى الكابتول . أما قسمات الوجه وتقاطيع الجسم في هـذا التمثال فهي قسمات لنكن الامثل وتقاطيعه كما يتصوره الحفار . تنظر اليه فترى فيه لنكن خطيب جتسبرج يفوه بكلام كله دعة وبلاغة وعزم عاطفاً على الذين قضوا في ذلك الميدان متعهداً للاجيال القادمة بالنيابة عن ابناء أمته الاحياء ان الذين قضوا هناك لم يكن موتهم عبثاً وان أمة انجبتهم لم يموتوا تلك الميتة الشريفة لن تبيد من الارض . هـذا لنكن الذي خاض حرباً وراء غاية عمرانية شريفه وعدته فيها قوة الايمان والثقة بفوز الحق وشدة العزم على متابعـة النضال وبعد النظر في وجوب المحافظة على الوحـدة الاميركية . انك ترى في نظرته ما يدلك على انه شاعر بقوة الحق الذي يؤيده وطيد الايمان بان الله سيمنحه القوة لاحقاقه . وقد نقش على الجدار وراء التمثال هذه العبارة « ان ذكرى ابرهيم لنكن مقدسة في هذا الهيكل كما هي مقدسة في قلوب هذه الامة التي حفظ لها وحدتها »

وعلى جانبي الغرفة الوسطى صفان من الاعمـدة على الطراز الايوني علوّ كل منها ٥٠ قدما ووراء الصفين غرفتان نقش على جدار احداهما خطبة لنكن في جتسبرج وعلى جدار الاخرى خطبة رآسته الثانية

وفوق خطبة جنسبرج صورة رمزية مثلثة من تصوير جول جيران . فالصورة الوسطى تمثل الحرية وملاك الحق يهبها للعبيد فتنفك القيود التي قيدت بها ايديهم وأرجلهم والصورة التي الى الشمال فتاة حاملة سيف العدل وفي حضنها لفة ترمز الى القانون ويسند هذه الفتاة من اليمين ومن اليسار شخصان آخران حاملين في أيديهما مصباح العقل وتحت ارجلهما آلهة تفسر القانون . أما الصورة التي الى اليمين فتمثل الخلود ترى في وسطها فتاة تتوج بتاج الخلود وحولها الايمان والرجاء والمحبة وعلى جانبيها آنية ملأى بالزيت والخمر رمزاً الى الحياة الابدية

وفوق خطبة الرآسة الثانية في الغرفة المقابلة صورة مثلثة تمثل الوحدة والاخوة والمحبة وهي لجيران ايضا . ترى في الصورة الوسطى ملاك الحق يضم يدين رمزاً الى اتحاد الولايات الشمالية والولايات الجنوبية بعد الحرب الاهلية ويظلل بجناحيه رموزاً للفنون التي تزهو في السلم وهي التصوير والحفر والبناء والموسيقى والآداب والفلسفة والكيمياء . ووراء رمز الموسيقى شبح يمثل المستقبل . والى اليسار صورة تمثل الاخوة في صورة عائلة مؤلفة من أب وأم وولد وقد مسك أحدهم بيد الآخر وقربهم أثمار الارض ونتاجها . والى اليمين رمز المحبة في شكل فتاة توزع ماء الحياة على المشوهين والعمى وتعنى باليتامى والفقراء

وسقف البناء من الرخام بعد ان عولج بالشمع حتى كاد يصير شفافاً كالالابستر فينفذ منه قليل من النور الملطف ويقع على التمثال والصور التى على الجدران فيراها الناظر في بديع انسجامها آية من الآيات

بدىء في صنع هذا التذكار سنة ١٩١١ ولم يتم بناؤه الا سنة ١٩٢١ وقد انفق عليه نحو ستمائة الف جنيه . وتسلمته الحكومة الاميركية في ٣ مايو سنة ١٩٢٢ سلمه المستر تافت الرئيس السابق المستر هاردنغ الرئيس حينئذ وهاك فقرة مما قاله الرئيس هاردنغ في خطبته :

« لقد كان عمله (أي عمل لنكن) كبيرا جداً حتى لا يختلف اثنان في انه كان أعظم رؤسائنا . تسلم مقاليد الحكم حينما كان أعداء الجمهورية كثيرين في الخارج وفي الداخل يهددون وحدتها وسلامتها فانتخب بعض مستشاريه من خصومه السياسيين واوقظ ما فيهم من شعور وطنى متعامياً عن دسائسهم. وتسلط عليهم بتفوق عقله ورجاحة فكره وسمو أخلاقه وقوة عزمه وجعلهم يعاونونه فى اتمام العمل العظيم الذي تصدى له . وكان فى كل ذلك مثالا للطف والدعة . ترى على جبهته حزنا وألماً ينمان على غايته الالهية وقوة عزمه على تحقيقها »

* * *

اذا فاخرت الهند بتازها واليونان باكروبليسها والشرق الادنى بمساجده ومختلف البلدان الاوربية بكنائسها وكاتدرائياتها الفخمة فلا شك ان أميركا تحق لها المفاخرة بهذا التذكار لان البساطة الفنية التي تبدو في فخامته الرائعة وسمو المبادىء والذكريات التى يثيرها فى نفوس الزائرين تجعله على ما قاله شوقي فى الاهرام

(له) كالمعابد روعة قدسية (وعليه) روحانية العبـاد

أن روحانيـة اميركا كما تظهر فيما يبديه الشعب الاميركى من العطف على كل مشروع خيرى وعمرانى مفيد وكما يستشفها الباحث في بساطة تقاليدها وسمو مبادئها الدمقراطية تراها مجسمة في حياة لنكن مرفرفة فوق تذكاره المهيب

مكتبة الكنغرس في وشنطن

« أميركا تصدر حضارة الى فرنسا » عنوان مقالة ظهرت في احدى المجلات الاميركية منذ أربع سنوات، قرأته فدهشت أشد الدهشة لانى أعهد أميركا تصدر حريراً وفضة وبترولاً وقطناً وسيارات فكيف تستطيع ابنة الحضارة الفتية أن تصدر حضارة الى فرنسا أم الحضارة الحديثة وأخلد من خط صفحة من صفحات العمران بمآثر النوابغ من أبنائها

ولكن زالت دهشتي حينما سرت قليلا في مطالعة ذلك المقال وعرفت ان كاتبها انما يقصد بهذا العنوان الغريب لفت النظر الى العمل العظيم الذى يعمله الاميركيون في تنظيم المكاتب الاميركية في مختلف مدن فرنسا . ودور الكتب كانت ولا تزال من أمتن أركان الحضارة لانها منائر تسطع منها أشعة النور والعرفان

ولا بدع في أن تعلم أميركا فرنسا كيف تُنظم دور الكتب وترتب، لان العناية بها في أميركا صارت فناً مستقلا له أصوله وقواعده ،

وصار كثيرون من الفتيات والشبان ينظرون اليه كعمل شريف فيه مجال واسع للارتقاء والنفع فيستعدون له فى مدارس خاصة تلقى فيها دروس نظرية وعملية فى تنظيم المكاتب وترتيبها والعناية بالكتب وتبويبها . وأعظم المكاتب الاميركية الآن المكتبة العمومية في نيويورك ومكتبة الكنغرس في وشنطن فان هاتين المكتبتين لا يفوقها في اتساعها سوى المكتبة الوطنية في فرنسا ومكتبة المتحف البريطانى في لندن . ولعل مكتبة الكنغرس الاولى في المعمورة بجمال دارها وحسن نظامها . وقد لا تمضى عليها سنوات قلائل حتى تفوق كل مكتبة أخرى فى عدد المجلدات التى على رفوفها لان قانون حقوق الطبع الاميركى يحتم ابقاء نسختين في مكتبة الكنغرس من كل كتاب يطبع فى أميركا

* * *

مكتبة الكنغرس في وشنطن درّة الفن الاميركى في البناء والنقش والتصوير والتنظيم اذا صح أن أسمي التنظيم فنّاً بعد أن جعله الاميركيون في كل مسلك من مسالك حياتهم العملية علماً ذا قواعد وأصول

وهى مبنية بالرخام والغرانيت من الداخل والخارج على أسلوب الرنسانس (النهضة) الايطالى وتتألف من ثلاثة أدوار وقبة فخمة . ففي وسط البناء ساحة مستديرة ترتفع فوقها القبة الفخمة

وقطر هذه الساحة مائة قدم وعلوها من الارض الى أعلى القبة ١٢٥ قدما . وكلها مبنية من الداخل بأنواع الرخام مختلفة الالوان منها الابيض والاحمر والاصفر وقد نقشت فيها صور وحفرت تماثيل كلها آية في الاتقان والابداع

فمن التماثيل البديعة تماثيل ثماني فتيات كبيرة الحجم احداها ترمز الى الدين وقد حملت في يدها زهرة وأخرى ترمز الى التجارة وقد حملت في يدها قاطرة وباخرة . وثالثة للتاريخ وفي يدها كتاب ومرآة عاكسة . ورابعة للفن وخامسة للفلسفة وسادسة للشعر وسابعة للقانون . وثامنة للعلم ومعها كرة ومثلث ومرآة . وقد نقش فوق كل منها عبارة مأثورة اختارها الدكتور تشارلس أليوت رئيس جامعة هارفرد سابقاً . فالعبارة التي نقشت فوق تمثال العلم مثلا هي الآية الاولى من المزمور التاسع عشر من مزامير داود ونصها : «السموات تحدث بمجد الرب والفلك يخبر بعمل يديه» والعبارة التي نقشت فوق تمثال التجارة ترجمتها « نذوق العطور التي من بلاد العرب ولكننا لا نشعر بحرارة الشمس المحرقة التي توجدها » وفوق تمثال الدين عبارة من سفر ميخا نصها « وماذا يطلبه منك الرب الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع الهك »

وقد نصب على الدرابزون الذي في الدور الثاني تماثيل من البرونز لاشخاص اشتهروا في التاريخ ترى موسى وبولس الرسول

يمثلان الدين وكولمبوس وفلتن يمثلان التجارة وهيرودتوس يمثل التاريخ وميخائيل أنجلو وبيتوفن يمثلان الفن وافلاطون وباكون يمثلان الفلسفة وهوميروس وشكسبير يمثلان الشعر وصولون وكنت *Kent* يمثلان التشريع ونيوتن وجوزف هنري يمثلان العلم . وقد حمل كل من هؤلاء الاعلام رمزاً يشير الى العمل الذى عمله فخلد به

ولا شك ان للعلم ممثلين أعظم من جوزف هنري يقرن اسم أحدهم الى اسم أمير العلماء نيوتن ولكن يجب الا ننسى ان هذا معهد اميركي ولاميركا حق الفخر برجالها ، وجوزف هنري في مقدمة علمائها ومن أعظم الباحثين في الكهربائية

محيط القبة ١٥٠ قدماً وهو في شكل منطقة واسعة نقشت عليها رموز تمثل اثنتى عشرة امة والعمل الذي عملته كل منها فوسعت به افق المعرفة ورفعت مستوى العمران . ترى مصر ممثلة في شكل فتاة حاملة بيديها لوحا عليه نقوش هيروغليفية ورمز الخلود وعلى العرش خثم مينا أول ملوك مصر وعند موطيء القدمين صندوق ملآن بدروج البردى

واليهودية أو أرض يهوذا تمثل الدين وبلاد اليونان تمثل الفلسفة ورومية تمثل النظام الاداري والاسلام ممثل في شكل شيخ عربي ومعه كتاب الرياضيات وانبيق من الزجاج رمزاً الى علم الطبيعيات . والعصور الوسطى تمثل اللغات الحديثة وايطاليا الفنون

الجميلة والمانيا فن الطباعة واسبانيا الارتياد والا كتشاف وانكلترا آداب اللغة وفرنسا التحرر من القيود واميركا ممثلة في شخص مهندس كهربائي وجهه يشبه وجه لنكن ومعه كتاب ومحرك كهربائي رمزاً الى العلم العملي

هذا أقل ما يقال فى وصف هذه الساحة الفريدة بما فيها من آيات الفن والجمال والاتقان . وهى ردهة المطالعة العامة فاذا لم يكب القاريء فيها على كتاب يطالعه ويستخرج ما فيه من العبر والفوائد سرح الطرف في هذه التماثيل والنقوش البديعة فيقطع على أجنحة الخيال عصور التاريخ ويعلم حينئذ ان العلم حقاً لا وطن له وان جميع الامم اشتركت فى وضع أصوله وترقيته ولذلك فهو أقوى عامل مرجو لتقريب الامم بعضها من بعض وتوطيد أركان السلام والعمران علي دعائم من الفهم والعطف والمصلحة المشتركة

وحول هذه الردهة غرف متسعة فيها الرفوف التى وضعت عليها الكتب وهى في تسعة أدوار من الارض الى السقف وقد صنعت من الحديد حتى لا تحترق . وهذه الرفوف طولها الآن نحو ٤٤ ميلا تسع ما يزيد على مليونى مجلد وهناك رفوف أخرى تسع مليوني مجلد ونصف مليون

اما الكتب فتنقل الى طالبيها بأسلوب ميكانيكى بديع وذلك انك حينما تطلب كتابا في ردهة المطالعة يكتب السكرتير ورقة عليها

اسم الكتاب وعدده ويرسلها بانبوب هوائي الى الكاتب المختص في الجهة التي فيها الكتاب فيتناوله من الرف ويضعه في صندوق يمر من أمامه سَيْر دائم الحركة يمتد من أمام السكرتير في الردهة الى الرفوف وفيه لواقط معدنية تلتقط الكتب من الصناديق وتحملها الى السكرتير فيوزعها على طالبيها . ولا يستغرق ذلك أكثر من بضع دقائق

هذا وقد أسست المكتبة سنة ١٨٠٠ فخصص لها الكنغرس خمسة آلاف ريال حينئذ وحرقت مرتين سنة ١٨٠٤ وسنة ١٨٥١ ثم ضُمّت اليها مجاميع خاصة من الكتب وزادت مافيها من الكتب بسن قانون « حقوق الطبع » الذى يقضى بان كل كتاب يرخص بطبعه فى اميركا يجب ان يهدى منه ناشروه نسختين الى مكتبة الكنغرس . فليت الحكومة المصرية تسن قانوناً من هذا القبيل بدلا من ان تنفق من ميزانية دار الكتب على شراء ما تود ادارتها حفظه فيها من المطبوعات العربية الحديثة وخصوصا لان مطابع مصر تطبع كتب ابنائها وكتب غيرهم من مختلف الاقطار العربية

ويحق لكل أحد ان يدخل المكتبة ويطالع فيها ولكن لا يحق لاحد الا لاعضاء الكنغرس وموظفى الحكومة ان يخرجوا الكتب الى بيوتهم

وقد بلغت نفقات بناء المكتبة حين انجز بناؤها سنة ١٨٩٧ مليون جنيه وربع مليون عدا ثمن الارض التي بنيت عليها ومساحتها ثلاثة افدنة و نصف فدان

* * *

تستقبل البناء من المحطة فتلمح قبتها الفخمة التي تتضاءل في نظرك حين تحول عينيك الى اليمين لتقارن بينها و بين قبة الكابتول . وقبة المكتبة تعلو ١٩٥ عن الارض وتنتهي في مشعال يمثل نور العلم

وحين تقترب من البناء ترى في ثلاث و ثلاثين نافذة من نوافذ الوجهة الغربية رؤوساً منقوشة تمثل أجناس البشر على اختلافهم ترى هناك رؤوس الصقالبة والاوربيين الشقر والاوربيين السمر واليونان والفرس والشركس والهنود الحمر واليهود والعرب والترك والمصريين المحدثين والحبشـــة وأهالي ملايا وأهالي بولينيزيا والاستراليين وهلمّ جرا

أما المدخل فمن أفخم ما اكتحلت برؤيته العين — ١٦ عموداً ضخماً من الرخام قائمة على قواعد كورنثية وفي المحاجر بينها تماثيل نصفية من الفرانيت لامرسن وارفنغ وجيته وفرنكلن وماكولي وهوثورن وسكوت وديموستين ودانتي . وفوق المدخل نقوش تمثل الآداب والعلم والفن

وهناك ثلاثة أبواب الدخول صنعت من البرونز عليها نقوش تأخذ اللب بروعتها فيقف أمامها الزائر الغريب يسأل نفسه أحق ما يقوله الناس من أن الاميركيين لا يعنون الا بماديات الحياة صارفين النظر عن معنوياتها ؟

ففي أعلى الباب الواحد نقش يمثل « الخرافات » في شكل فتاة تروى روايتها على طفل وعلى مقربة منها أربعة رجال يصغون الى ما تقول لينقلوه الى أربعة أقطار الارض وعلى درفتيه نقشان احدهما رمز الى « الخيال » في شكل فتاة تحمل قيثارة والآخر يمثل « الذاكرة » فى شكل أم تحمل خوذة ابنها الساقط في الحرب وسيفه . ولا يخفى أن الذاكرة والخيال هما ركنا الخرافات . والبابان الآخران يمثلان الكتابة والطباعة على هذا النمط

ولا أستطيع أن اسير على هذا النمط من الاسهاب في وصف ما على الجدران من النقوش والصور . تدخل الدور الاول فيستقبلك سلم رخامى ترى على درابزونه من اليمين ومن الشمال رموزاً منحوتة تمثل العامل الميكانيكى والصياد والفلاح والسماك والجندى والكيماوى والطاهى والبستانى والعالم بالحشرات والتلميذ والطابع والموسيقي والطبيب والمهندس الكهربائي والفلكي . وعلى جانبي الدرابزون دكتان حفر على احداها ولدان يمثلان أميركا وأفريقيا وبينهما كرة تظهر عليها القارتان أميركا وافريقيا وعلى الدكة الثانية ولدان يمثلان

أوروبا وآسيا وبينهما كرة عليها القارتان أوروبا وآسيا . وسائر غرف المكتبة ودورها على هذا الطراز من الاتقان والفن فانك لا تسير خطوة واحدة في هذا المتحف النادر الا وترى رمزاً بديعا اما نقشاً أو تصويراً لحالة من الحالات التي مرت فيها المعارف في سيرها على طريق الارتقاء ، أو تمثالا لقطب من أقطابها أو قولا مأثوراً من من أقوال الكتاب والشعراء او رسوما رمزية لما ترتكز عليه المدنية من الفضائل والمبادىء السامية

حوّل نظرك كيف شئت :— هذه طائفة من الصور الرمزية تمثل فيها أبطال بعض الشعراء المشهورين كاوريل بطل أمرسن وويناندر بطل وردزورث وكومس بطل ملتن وأدونس بطل شكسبير واندميون بطل كيتس وغاعيد بطل تنسن

وهذه طائفة أخرى رسمت فيها صور رمزية لابطال اليونان القدماء بلرفون وفرسارس وبروميثيوس وثوسوس واخلس وهرقل وياسون وأورفوس

أو ادخل غرفة المطالعة الخاصة بالنواب تجد فيها لوحات رسمت عليها صور رمزية للشريعة والتاريخ وفي سقفها صور رمزية لالوان الطيف الشمسي فاللون النيلي يرمز الى نور العلم والازرق الى نور الحق والاخضر الى نور البحث والاصفر الى نور الخلق والبرتقالي الى نور الارتقاء والاحمر الى نور الشعر والبنفسجي الى نور الدولة

وفي الردهة الشرقية ترى صوراً تمثل ارتقاء الكتابة من الرواية الى التدوين الهيروغليفي الى التدوين بالرسوم الذى استعمله هنود أميركا الى مخطوطات القرون الوسطى الى المطبعة

ثم ترى على سقفها رموزاً لفنون العمارة والموسيقى والتصوير والنقش والشعر وأخرى للعلم الطبيعي والرياضيات والفلك والهندسة والفلسفة الطبيعية والطب والقانون واللاهوت وأمام كل من هذه الرموز أسماء طائفة من الاميركيين الذين اشتهروا بها

وإذا تحولت الى الردهة الشمالية وجدت في ناحية منها صوراً ترمز للعائلة والدين والعمل والدرس واللعب والراحة وفي ناحية أخرى كليو إلاهة التاريخ وتاليا الاهة الطرب والكوميديا وأوترب إلاهة الشعر الغنائي والغناء وتربسيكور الاهة الرقص وأورانيا الاهة علم الهيئة وكليوب الاهة الشعر الحماسي والفصاحة وأراتو إلاهة شعر الحب وبوليهيمنيا الاهة الموسيقى المقدسة والغناء الموحى به

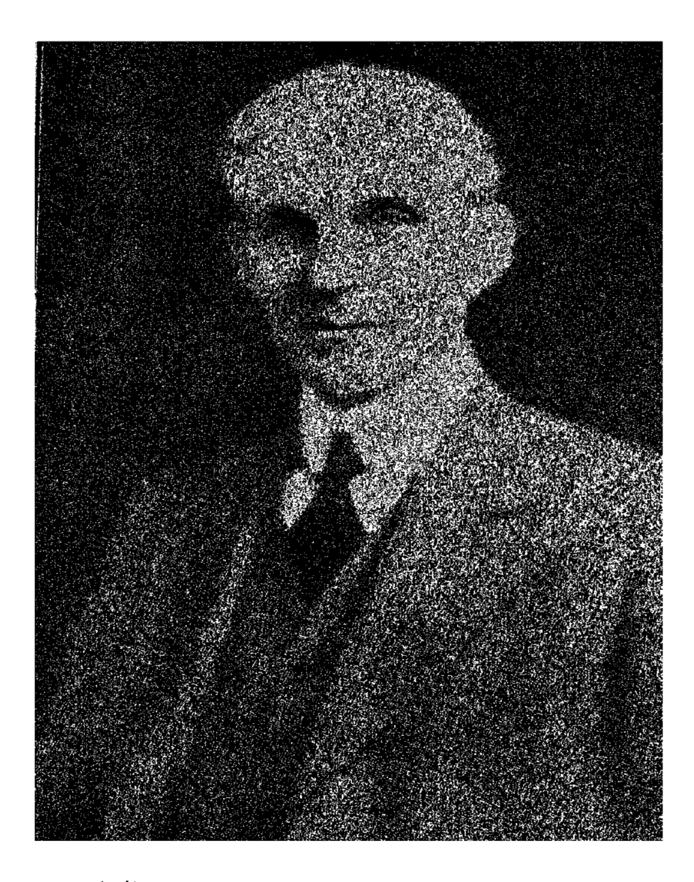
هذا في الدور الاول . أما في الدور الثاني فتجد في جهة منه رموزاً للفضائل ـ الحكمة والشجاعة والوطنية وقوة الخلق والاعتدال والعدل والاجتهاد . ومجموعة أخرى تتألف من أربع صور ترمز الى الحكمة والفهم والمعرفة والفلسفة . ومجموعة أخرى للحواس الخمس الذوق والسمع والشم واللمس والنظر

ثم صورتان بديعتان في الممر الغربي الاولى تمثل العلوم معاً وهي علم الحيوان والطبيعيات والرياضيات والجيولوجيا وعلم الآثار وعلم النبات والفلك والكيمياء وأخرى مثلها لكنها ترمز إلى فنون التصوير والعمارة والحفر . وبين الاثنين ألواح صغيرة عليها أسماء بعض أقطاب العلوم ككوفيه علم الحيوان ورمفرد في الطبيعيات ولاجرانج في الرياضيات وليل في الجيولوجيا وشليمان في علم الآثار ولينيوس في علم النبات وكوبرنيكس في الفلك ولافوازيه في الكيمياء

وهناك نقوش وصور أخرى للحرب والسلم والاكتشاف والارتياد والشجاعة والفصول الاربعة وأقوال لمشاهير الشعراء والكتاب يصعب حصرها وإيفاؤها حقها من الوصف

* * *

خرجت من هذا المتحف النادر المثيل بعد ما رافقت الانسانية في سيرها الى الامام في نقوش وتماثيل كلها فن وجمال ، وبعد مااستعرضت أمامي جيشا من المفكرين كلهم فاتح غزا بعلمه معاقل الجهل فدكها وضرب بسيفه غياهب الغباوة فبددها — خرجت بعد أن رأيت ما رأيت وعلى لساني عبارة لكارليل رأيتها منقوشة على أحد الجدران — « تاريخ العالم تاريخ العظام من الرجال »



عن المقتطف

المستر هنري فورد

*

هنري فورد ومعامله

كثيراً ما تكون الحقيقة أغرب من مبتكرات الخيال وأى قصة خيالية أكثر غرابة من حكاية فورد وأتوموبيله ومعامله . رجل كان فى أوائل القرن العشرين مستخدما فى شركة اديصن الكهربائية بدترويت يذكره الناس سائراً فى شوارعها بأتوموبيله الاول وكان أقرب الي اللعبة حينئذ منه الى آلة مفيدة ، لا يمر عليه ربع قرن الا ويصير أغنى أغنياء العالم لا يقل دخله السنوى عن ثلاثين مليونا من الجنيهات يشتغل فى معامله وفروعها المنتشرة فى كل أنحاء المعمور نحو ١٨٠ الفا من العمال لا يتقاضى العامل منهم أقل من ستة ريالات أميركية أجرة يومية أو ما يزيد على ٣٥ جنيها فى الشهر وساعات العمل لا تزيد على ٨ ساعات فى اليوم . زد على ذلك ان هذه المعامل تصنع الآن فى السنة ما يزيد على مليونى أتوموبيل أو نحو ٧آلاف أتوموبيل فى اليوم عدا ما تصنعه من المحاريث والسيارات الفخمة وسيارات النقل وما تسبكه من الحديد وتصبه من الزجاج وتصنعه من الجلد الصناعي وهلم جرا

أتيحت لى زيارة الفرع الاكبر من معامل فورد الشهيرة قرب مدينة دترويت بالولايات المتحدة وهو المعروف بعمل هيلندبارك فدهشت مما رأيته فيه من الاتساع والنظام والانصباب على العمل ثم قرأت كتابا وضعه فورد موضوعه (حياتى وعملى) فزادت دهشتى وعظم إعجابى بهذا الرجل العظيم . أقول انه رجل عظيم غير متردد بعد ان كنت أحسبه داهية مال لا غير سنحت له بعض الفرص فعرف كيف يغتنمها وجمع ثروة رفعته من صف العمال الى المقام الاول بين أغنياء العالم. هو رجل عظيم لان بردته تضم مستنبطا بارعا وماليا محنكا ومصلحا اجتماعيا وله فوق ذلك من الرجل العظيم النفع الذى يجنيه الناس من حياته فان إثنى عشر مليون أتومبيل يزيد مجموع قوتها على نحو ٣٠٠ حصان تستخدم الآن في كل انحاء المعمور للنقل والانتقال والحرث والنزهة بنفقة قليلة جداً فى جنب فائدتها وقوتها لاعظم ما يستطيع أن يفعله رجل واحد في مدى حياة تعد بالستين او بالسبعين . مع ذلك تراه يحسب أن شركته لاتزال على عتبة المستقبل وأكبر دليل على ذلك ان نصف ما صنعته من السيارات فى عشرين سنة صنع فى السنتين الماضيتين ويأمل بفضل أساليبه الصناعية والمالية ان يزيد ما يصنعه من اتوموبيله ومحراثه وان يخفض ثمنها الى ادنى حد مستطاع حتى يجعلها في متناول كل احد . ولم يكتف بذلك بل عنى بعماله فقاسمهم بعض

أرباحه قبل ان قلب البولشفيك النظام المالى فى روسيا ثم جعل راتب العامل اليومى لا يقل عن ٦ دولارات فكان امين الجانب من جهتهم حين كان الاعتصاب منتشراً فى كل البلدان الصناعية على اثر الحرب الكبرى . وستظهر جميع هذه الصفات فى الكلام عليه ووصف أهم ما يستوقف النظر فى معامله ونظام شركته وأساليبها

* * *

وُلد هنري فورد في ٢٠ يوليو سنة ١٨٦٣ في قرية بولاية مشيغن من أعمال الولايات المتحدة قرب مدينة دترويت . وكان أبوه من المزارعين المعروفين فيها وله مقام اجتماعي محترم . أظهر هنرى ميله الى الميكانيكيات منذ نعومة أظفاره فجاءت أعماله في صغره مقدمة واضحة لما صار اليه في شبابه وكهولته . صنع أولا دولابا صغيراً تديره المياه المنحدرة ونصبه قرب المدرسة التى كان يتعلم فيها ثم صنع آلة صغيرة لدرس الحنطة . وكان مسافراً في أحد الايام الى دترويت فرأى آلة بخارية ضخمة على الطريق فوقف يسأل المهندس عن تركيبها ثم وقعت له ساعة فخلبه ما فيها من دقة التركيب . ولما بحث عنه أهله في أحد الايام وجدوه في مخزن الحنطة وقد فكك الساعة وأعاد تركيبها كأن أجزاءها كانت معروفة لديه بالفطرة . ويقال انه حينما بلغ الثالثة عشرة فكر فى صنع آلة يضعها في دراجة صديق له ليستغني بها عن ادارتها بالرجلين

وهكذا نشأ لا يميل الى الزراعة رغم ما فعله أبوه ليرغبه في الأخذ بها فأقام فى المدرسة إلى أن بلغ السابعة عشرة ثم دخل معملا ليتتلمذ فيه على مهندسيه فأظهر مهارة فائقة ونال شهادة من رؤسائه قبل انقضاء مدة التلمذة المعينة وجعل يشتغل باصلاح الساعات في حانوت صائغ وكاد يبدأ العمل كساعاتى مستقل لكنه أنعم النظر فوجد أن الساعات ليست مما يحتاج اليه كل الناس فالطلب عليها يبقى محدوداً ولذلك لم ير أملا في توسيع عمله بها الى المدى الذي كان يتوق اليه فتركها وشأنها . وهذا يدلك على صحة نظره التجاري الذى يكاد يكون غريزة فيه

ترك العمل بالساعات واستخدم في شركة ميكانيكية وكانت مهارته تكسبه ثقة رؤسائه ومودتهم فجعل يرتقي ارتقاء سريعا حتى صار رئيس المهندسين في شركة أديصن الكهربائية بدترويت . كل ذلك وفى نفسه أمنية تساوره منذ صغره وهي استنباط آلة خفيفة الوزن على جانب كاف من القوة والمتانة يستعملها الفلاح في الحقل فتخفف عنه ما يتكبده من المشاق وتزيد انتاجه ودخله فأدت به ابحاثه الى استنباط أوتوموبيله المشهور والتوسع فى عمله قبل تحقيق أمنيته هذه

صنع أوتوموبيله الاول فى سنة ١٨٩٣ ولا يزال عنده الى الآن ثم صنع أتوموبيلا ثانيا سنة ١٨٩٦ ولكنه شأن العلماء لم يشأ

أن يسرع في صنع أمثاله قبل أن يتقنه ولذلك أنفق السنوات السبع التالية في التجربة والامتحان فلم تقع تجاربه هذه في آلة تسير بالبنزين موقع القبول عند رئيس الشركة الكهربائية التى كان يشتغل فيها لان الرئيس كان يعتقد ان المستقبل للقوة الكهربائية . أما فورد فلم يرَ للكهربائية مكانا في آلة قد تضطر صاحبها الى السفر في أنحاء قاصية عن معالم التمدن لم تصل الكهربائية اليها فاستمر فى تجاربه . وعرضت عليه شركة أديصن أن يصير ناظراً عاماً فيها على شرط أن يترك تجاربه فى الاتوموبيل وينفق كل وقته فى أعمال الشركة . فكان عليه أن يختار بين منصب كبير يتقاضى منه راتباً شهريا كبيراً وبين آلة قد يكون من نصيبها الفلاح أو الاخفاق على السواء لكنه ككل نابغة بعيد النظر عرف مقام الاتوموبيل وحاجة الناس اليه وكان واثقا كل الثقة من استنباطه فآثر أن يضع كل ثقته فيه وترك عمله في شركة أديصن سنة ١٨٩٩

لم يكن لديه مال كاف لانشاء معمل ولا كان الطلب على الاوتوموبيلات فى ذلك العهد مما يشجع على المغامرة بالاموال وكان الناس ينظرون الى الاتوموبيل نظرهم إلى وسيلة لهو وتسلية وحين يغالون في احترامه يعترفون به وسيلة جميلة للنزهة ومع ذلك وجد جماعة من أصحاب الاموال أرادوا أن يغتنموا فرصة استقالته ليستفيدوا من أتوموبيله فألفوا شركة وجعلوه رئيس مهندسيها

وأعطوه نصيبا صغيراً من أسهمها . ولكنه رأى معارضة كبيرة من جانبهم كلما أراد أن يدخل اصلاحا جديداً في صناعة الاتوموبيل ولم يكن له من سلطة سوى سلطته كمهندس فرأى أنه إذا بقي كذلك لم يتمكن من الوصول بأوتوموبيله الى الغاية التي يرومها فاستقال من الشركة سنة ١٩٠٢ وعزم عزماً قاطعاً أن لا يستخدم في المستقبل

وقضى سنة ١٩٠٢ يبحث ويمتحن فعرف أن الناس لا يقبلون على أتومبيل إذا لم يكن سريعا فدفعته رغبته في بناء أسرع أتوموبيل في العالم الى استعمال أربع سلندرات (اسطوانات) ولم يكن قد استعمل سوى اثنتين من قبل ودخل سباقا شهيراً فنال قصبه وسبق المصلي بنحو نصف ميل فاشتهر اتومبيله كثيراً

وسنة ١٩٠٣ ألف شركته المعروفة وجعل نائبا لرئيسها ومهندسها وناظرها ومديرها العام . وكان رأس مال الشركة مائة الف ريال لم يدفع منها سوى ٢٨ الفا ، له من أسهمها ٢٥½ في المائة . ولكن تعلم في ثلاث سنوات بالاختبار والامتحان ماساعده على قلب صناعة الاتومبيل كما سيجيء في الكلام على أساليبه الصناعية .
وسنة ١٩٠٦ استولى على ٥١ في المائة من أسهمها ليتمكن من ادارة العمل حسبما يريد ثم اشترى أسهما أخرى وحذا حذوه ابنه ادزل رئيس الشركة الآن فاشترى الاسهم الباقية سنة ١٩١٩ . وأعيد تأليف الشركة حينئذ فجعل رأس مالها ١٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال

لاأستطيع فى هذه العجالة أن أسهب في وصف معامل فورد كما هى أو كما رأيتها لان الاسهاب فيها يملأ مجلداً ضخما وفيها كل مستحدث وطريف من الاساليب الصناعيـــة التى انفرد فورد باستنباطها ولكنى سأذكر أهم مايستوقف النظر فيها

ولعل معامل فورد أكبر معامل العالم اذا نظر اليها جملة وهى سلسلة تامة الحلقـات فمن المواد الخام في حراج الخشب ومناجم الفحم والحديد والنحاس ومعامل الزجاج والجلد الى وسائل النقل من بواخر ضخمة وسكك حديدية خاضعـة لسيطرة الشركة الى المصانع المختلفة التى تصنع أجزاء الاتوموبيل وتركيبها : فمعامل فورد من هذا القبيل مستقلة عن كل اضطراب مالي أو صناعي يحدث في المسكونة . وقد نظمت الشركة عملها حتى صار مبيع الاتوموبيل غير متوقف على اقبال النـاس أو عدم اقبالهم في فصل خاص من فصول السنة بل مايباع من الاتومو بيلات مطرد كل سنه اطراداً يكاد يكون طبيعيا مع زيادة مستمرة . وغنى الشركة يساعدها على ان تقطع مبلغا كبيراً من المال للبحث العلمي الصناعي فقـد تنفق مليون ريال على تجارب مختلفة لاستنباط آلة صغيرة تفي بغرضها

واشهر معامل فورد معمل هيْلندبارك قرب دترويت ومعمل (النهر الاحمر) في ناحية أخرى من ولاية مشيغن . وعدد العمال في معمل هيْلندبارك ٦٥ الفا ومساحته ٢٧٨ فدانا ١٠٥ فدانين منها

مسقوفة تشتمل على معامل اصنع أجزاء الاتوموبيل وأخرى لتركيبها وأخرى لاعمال صناعية مختلفة كصنع الفورديت وهو مركب خاص من المطاط استنبطه فورد بعد استقصاء طويل بحيث يجمع بين خفة الوزن والصلابة اللازمة. وفي هذا المعمل دار تولد القوة الكهربائية اللازمة لادارة جميع الآلات ومقدار القوة التي تولدها ٥٤ الف حصان

وأما معمل النهر الاحمر (رفرروج) فأكبر مسابك الحديد في العالم مساحته ١١٠٠ فدان فيها مبان مساحة مسطحها ثلاثة ملايين ونصف مليون قدم مربعة وطول الطرق فيها ثمانية أميال وطول الخطوط الحديدية فيها خمسون ميلا وفي امكانه صنع ١٦٠٠ طن من الكوك يوميا و٢٤ مليون قدم مكعبة من الغاز و٢٢ الف غالون من البنزول و ٥٥ الف رطل من سلفات الامونيا ونحو ١٠٠ طن من حديد السلكون المتين و ٢٠٠٠ الف طن من الحديد الزهر و ٥٠٠ محراث و ٧٠٠٠ جسم (كاروسري) أتوموبيل وغير ذلك من الورق السميك والسمنت عدا ما فيه من مخازن الترميم المتسعة وعدد عماله ٤٠ الفا

في هذين المعملين وفي سائر المعامل جرت شركة فورد على خطة اختطها مؤسسها منذ انشائها وتعهدها بالاصلاح والترقية وهي تقوم على ثلاثة أركان

١ — الاساليب الصناعية — على الشركة أن تعنى باتقان وسائل الانتاج غير ناظرة الى مقدار الربح لانه إذا أتقنت أساليب العمل أمكنها أن تقال ما فيه من الخلل وما يضيع من الوقت والمواد جزافا فتستطيع حينئذ أن تخفض سعر الاتوموبيل فيزداد بيعه ويكثرعدد المنتفعين به ويتم للشركة امران زيادة الربح وزيادة نفع الناس وهما في رأى فورد لا ينفصلان ويجب أن لا ينفصلا

لذلك وزّعت الاعمال فى هذه المعامل الى أقصى حد مستطاع حتى صارت مراتب العمل غاية فى البساطة يستطيع كل انسان عادي أن يتقن عمله بعد ممارسته أياما قليلة . ولكي لا يضيع وقت العامل سدى في الذهاب والاياب والحركة بلا بركة استنبط فورد نظام النقالة *Conveyor System* وهو سير من الحديد دائم الحركة ينقل عليه جزء من اجزاء الاتوموبيل البسيطة أمام عدد من العمال مرتبين حسب تدرج مراتب العمل فى ذلك الجزء فيعمل كل منهم عملا خاصا فيه ولا ينتهى الجزء الى آخر عامل منهم حتى يكون صنعه قد تم. ومتي صنعت أجزاء الاتوموبيل على هذا النسق في دور مختلفة من المعمل تركب معا على هذا النسق أيضا فيتألف منها الاتوموبيل. ومن يزر معمل هيلند بارك ير كيف يركب المحرّك وغيره من الاجزاء ثم كيف تركب هذه الاجزاء معا فيتألف منها الاتوموبيل ويرى أتوموبيلا

يخرج من المعمل كل دقيقة أو أقل ، أمر كنا نسمعه ولا نصدقه متسائلين هل فى استطاعة انسان أن يفعل ذلك ؟

ولهذا النظام اكبر يد في ترخيص اتوموبيل فورد لانه يقتصد به كثيراً من الوقت الذي كان العمال يضيعونه سدى. ففي سنة ١٩١٢ كان تركيب المحرك مثلا على الاساليب القديمة يستغرق ٩ ساعات و ٥٤ دقيقة فلما أدخل نظام النقالة على الوجه الذى بيناه آنفا صار يستطاع تركيب المحرك في خمس ساعات و ٥٦ دقيقة أى فى نحو نصف الوقت فتمكنت الشركة بذلك ان تقتصد نصف العمال الذين يركبون المحركات او أن تبقيهم جميعاً وتضاعف انتاجها منهم

ومن مبادىء فورد الصناعية انه يجب ان يوكل الى الماكينات كل ما يمكن ان تصنعه وفى ذلك فوائد كبيرة منها أن العمل يكون اسرع وأدق وتأتى الاجزاء التى تصنعها ماكنة واحدة اوماكنات مماثلة على نمط واحد يمكن استعمالها في كل اتوموبيل تصنعه الشركة فيتمهد السبيل للذين يشترون اتوموبيلاتها ان يصلحوها بسرعة وسهولة متى وقع خلل فيها . وله حسنة من الوجهة الاجتماعية نذكرها حين الكلام على رأى فورد فى الاحسان

ومن مبادئه أيضا أن العمل الواحد في النظام الصناعي الكامل يجب ان لا يصنع كل أجزاء الاتوموبيل مثلا بل يجب ان تصنع الاجزاء المختلفة حيث يكلف صنعها اقل نفقة ممكنة . ولذلك ترى

ان لفورد معامل خاصة بعيداً بعضها عن بعض يختص كل منها بعمل جزء واحد من الاتوموبيل ثم ترسل هذه الاجزاء لتركب في أماكن بيعها وهو ينوى ان يجرى على هذه الخطة في كل معامله

٢ — المبادىء المالية — من مبادىء فورد وشركته أن لا يستدين مالا من اصحاب البنوك لانه حالا يصير لهؤلاء يد فى ادارة صناعة يهتمون بأموالهم وفوائدها وارباح الشركة اكثر من اهتمامهم باتقان اساليب الانتاج وتخفيض سعر المصنوعات فتتأخر الصناعة ويرتفع ثمن المصنوعات ويقل عدد الطلاب . ولذلك تقل منفعتها للناس اذا كان الناس فى حاجة اليها . وقد جرى على هذا المبدأ سنة ١٩٢١ حينما وقعت الازمة المالية الشديدة

وهو يرى البنك محلا أميناً لحفظ النقود . ولكن يجب ان لا يسمح له بالسيطرة على عمل صناعي لان صاحب البنك لا يدرى من امور الصناعة شيئا ولان صاحب المعمل يجب ان يربح من عمله ما يكفيه للجرى فيه . فاذا حسب انه يستطيع أن يستدين الاموال لاخفاء ما فى معمله من سوء الادارة والتبذير فهو يعمل عملا غير طبيعى لان سوء الادارة لا يصلح بالمال بل بحسن الادارة والتبذير لا يصلحه الا الاقتصاد . صاحب معمل كهذا يشرع في سلسلة قروض يدفع بالثاني منها الاول ولا ينتهي من ربقتها والاستعباد لاصحابها

فينصرف بذلك عن الانتاج الذى يجب أن يكون موضع اهتمامه الاكبر . فالمال من هذا القبيـل اداة لا غير . ولذلك ترى فورد ينظر الى ما عنده من الاموال الطائلة نظره إلى ارقام فى دفاتر لا غير وهذا يحمله على انفاق معظم ما يربحه في توسيع العمل واصلاح أساليبه وتخفيض أسعار مصنوعاته ورفع أجور عماله · وهو فى ذلك لا يعارض في استدانة المال ولا يحمل ضغينة ضد أصحاب البنوك بل الامر الذي يود إيضاحه المثل لرؤساء الشركات الصناعية ان الاموال المستدانة لا تقوم مقام العمـل والسهر على اتقان أساليب الانتاج ·

٣ ـــ العمال وأجورهم ـــ للمستر فورد قول مأثور فى أجور العمال جاء فيه « فى أجور العمال شيء مقدس لانها تمثل بيوتا وأولاداً ومصير عائلات . يجب ان نخفف الوطأ حين ذكر الاجور لان الموضوع حيوى . انها تمثل في دفاتر الشركات أرقاما ولكنها تمثل في حياة أصحابها غذاء ودفئًا وتعليما أو بكلمة واحدة حاجيات العائلة ورفاهتها »

ان رجلا يقول هذا القول ويتجاوز حـد القول الى العمل فيحسب عماله شركاءه في عمله ويشاطرهم مبالغ طائلة من المال من غير ان يرغمه أحد على ذلك لذو قلب كبير ونظر بعيد فى الامور . كان قبيـل الحرب يوزع على عماله نحو ١٠ ملايين ريال كل سنة

وكانت أقل أجرة يومية يدفعها لا تقل عن ريالين ونصف ريال أو ثلاثة ريالات ثم الغى هذا النظام ورفع أقل أجرة تعطى في معامله الى خمسة ريالات وذلك سنة ١٩١٤ فقيل عنه انه ثائر على النظام الاجتماعى الاقتصادى وان عمله هذا سيؤدى به الى الخراب ولكن انتاجه زاد وما يباع من أتوموبيلاته كثر فرفع الاجرة الى ستة ريالات ومبدأه فى ذلك ان الذى يدفع أجور العمال ليس رئيس الشركة بل المصنوعات نفسها وعلى أدارة العمل ان تمهد السبيل للربح من المصنوعات حتي تدفع الاجور التى تضمن راحة العمال

رأى فورد فى الاحسان — كثيراً ما كنت استغرب ان اسم فورد لايذكر مع أسماء ركفلر وكارنجي وسايج وايستمن وغيرهم من كبار المحسنين الاميركيين ولكنى لا أجد مكانا للدهشة الآن ومتى عرف السبب بطل العجب

يتساءل فورد هل الاحسان ضرورى فى جماعة متمدنة ويستدرك فيقول أنه لا يعترض على العاطفة التى تدفع الى الاحسان لأنها انبل ما في الانسان من العواطف لكنه يرى ان هذه العاطفة النبيلة تستعمل لغايات ضئيلة ومقاصد لا تساوى فى نبلها وشرفها الباعث عليها . فاذا كانت هذه العاطفة النبيلة تحملنا على تغذية الجائع فلماذ لا نمنع وجود الجائعين ؟ واذا كانت تدفعنا الى إغاثة البائس فلماذا نسمح للبؤس ان يرتع في مدننا وقرانا ؟ ان العطاء

سهل جداً فى مثل هذا المقام ولكن الصعوبة كل الصعوبة فى منع ما يستوجب العطاء . ولكي نمنع البؤس يجب ان ننظر الى ما وراء البائس والجائع الى سبب بؤسه أو جوعه فلا نكتفى باغاثة وقتية بل نسعى لازالة السبب الداعي اليها . ولذلك نري فورد لا يعطف مطلقا على الذين يجعلون عملهم العطاء أو استدرار الاموال من الاغنياء بل يسعى بالطريقة التى ابتكرها الى استئصال شأفة الشر بدلا من معالجته علاجاً ظاهراً . وعنده ان النظام الصناعى اذا ارتقى كما يجب أن يرتقى حل عقدة الفقر والمسكنة . فاكثر الناس الذين يحسبون جديرين بالنوال كلهم أو جلهم اصحاب عاهات وقد أثبت المستر فورد في معامله انه اذا وزعت الاعمال واستنبطت الآلات لصنع اجزاء الاتومبيل المختلفة أصبح في طاقة أصحاب العاهات ان يديروا هذا الآلات بلا اجهاد . فمن الآلات ما يستطيع الاعمى أن يديره ومنها ما يستطيع الاعرج ان يديره وهلم جرًّا وقد وجد فى معمله بهيلندبارك أن نحو ٤٠٠٠ عمل ميكانيكي مختلف من نحو ثمانية آلاف عمل يمكن أن يقوم بها أصحاب العاهات منها ٥٧٠ عملا يقوم بها رجال كل منهم مقطوع الرجلين و ٢٦٣٧ عملا يقوم بها رجال كل منهم مقطوع الرجل الواحدة وعملان يقوم بهما رجلان مقطوعا اليدين و ٧١٥ عملا يقوم بها رجال كل منهم مقطوع اليد الواحدة وعشرة أعمال يقوم

بها عمي . وكل من هؤلاء يتناول أجرة لا تقل عن ستة ريالات في اليوم أي ما يزيد على ٣٥ جنيها في الشهر وهي كافيـة لاعانة عائلة في سعة . وفي الوقت ذاته يشعر العامل انه يكسب هذا المال ولا يناله على سبيل الاحسان فيحافظ على ما فى نفسه من عزة وأباء

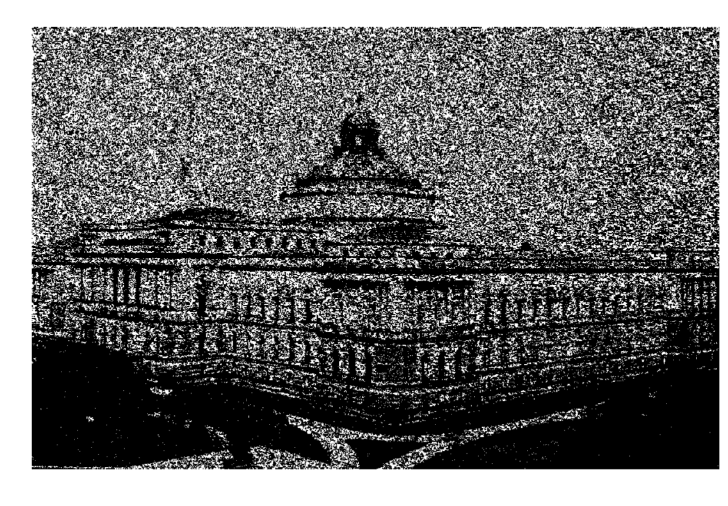
ومما جرت عليه شركه فورد أن كل عامل يجب أن يبدأ فيها كعامل بسيط مهما كان عمـله من قبل فاذا كان ذا كفاءة ارتقى سريعا حتى يحل في المكان اللائق بمعارفه وخبرته وقد تقدم أن ما يباع من أتوموبيلات فورد مطرد فالعمل فى المعامل مطرد أيضا وكل عامل يتم عمله بأمانة ونشاط يستمر فى عمـله لا يخاف أن يفصل عنه

وغني عن البيان أن العناية هناك بشؤون العمال الاجتماعية والصحية على أتم ما يرام حتى لقد بلغني لما كنت في دترويت أن الشركة ترسل مفتشين يزورون بيوت العمال فاذا لم تكن نظيفـة مرتبة حاوية لجميع أسباب الصحـة حسب ما هو مبين في لوائح خاصة تنشر بين العمال عوقب صاحب البيت على ذلك

نظام المعارف فى الولايات المتحدة

﴿ نظرة عامة ﴾ لا نري أثراً لذكر المعارف في دستور الولايات المتحدة الاساسى ولا فيوثيقة اعلان الاستقلال . وهذا دليل على أن الذين وضعوا الدستور كانوا يعتقدون ان الاهتمام بنشر المعارف وتنظيم التعليم ليس من أعمال الحكومة المركزية في وشنطون بل من أعمال الحكومات المحلية والمجالس البلدية. ولكن هذا لا يدل على ان الحكومة المركزية لم تهتم بشؤون البلاد التعليمية فانها أصدرت منشوراً جاءت فيه العبارة التاليـة « الدين والادب والمعرفة من ضروريات الحكومات المنتظمة والشعوب الراقيـة فيجب أن تنال التأييد والتعضيد من الجميع »

وأنشأت الحكومة المركزية سنة ١٨٦٧ مجلسا أعلى للمعارف ألحقته بوزارة الداخلية وهاك ما جاء فى منشورها حين تأسيسه « أنشيء هذا المجلس ليجمع الحقائق والاحصاءات التى تبين انتشار المعارف فى كل الولايات والاملاك التابعة لحكومة الولايات المتحدة



مكتبة الكنغرس في وشنطن

وأن ينشر من الفوائد والمعلومات عن نظام المعارف وأساليب التعليم وادارة المدارس مايساعد الشعب الاميركي على رفع مستوى التعليم في مدارسه وتحسين أساليب التدريس حتى تناسب حاجات البلاد » [1] فيرى من هذه العبارة أن لا يد لهذا المجلس في ادارة المعارف ولكن ماجمعه من الاحصاءات ومانشره من الفوائد كان ذا قيمة كبيرة لدى جميع المشتغلين بالتعليم في أميركا

ومنحت الحكومة المركزية حكومات الولايات المختلفة قطعاً كبيرة من الاراضي المشاعة لتكون لمعاهد التعليم على اختلاف أنواعها ودرجاتها وقد بلغت مساحة هذه الاراضي ١٢٤٥٩١ ميلا مربعاً أي أكثر من ٨٦ مليون فدان أو مايربى على مساحة بروسيا أو مساحة بريطانيا وهولاندا معاً [2] وأعلنت أنها تهب ١٥٠٠٠ ريال لكل مختبر زراعي يراد به اجراء المباحث الزراعية المنظمة بالاتفاق مع كلية الحكومة الزراعية في أية ولاية من الولايات وهي تهب ٢٥٠٠٠ ريال سنوياً لكل من الكليات الزراعية

وزد على ذلك ففي الولايات المتحدة كثير من المدارس والكليات القائمة على نفقة بعض الاغنياء والجمعيات أو نفقة جمهور السكان . فاذا اعتبرنا كل ماتقدم لانعجب من كثرة المدارس في الولايات المتحدة حتى لقد بلغ عددها نحو ٣٠٠٠٠٠ مدرسة سنة

(١) الانسكاوبيذيا البريطانية في الكلام على التعليم (٢) الانسكاوبيذيا البريطانية

١٩٢١ عدا مدارس بساتين الاطفال ومعاهد التعليم العالي [١]

ولكل ولاية من الولايات نظام للتعليم خاص بها يتكيف حسب حاجات الولاية ومطالب سكانها ولكن النزعة الاميركيـــة قوة تشمل كل سكان البلاد على السواء وليست هي خاصة بقوم منهم دون قوم آخرين أو بولاية دون سواها وهذه النزعة الشاملة هي سبب ماتراه بين الاساليب المتبعة في مختلف الولايات من التماثل في الامور الاساسية . فقوانين الولايات المختلفة تنص على جعل التعليم اجباريًا مجانيًا لكل الاولاد الذين بين السابعة والسادسة عشرة مع فروق قليلة في بعض الولايات . وتتفق جميع المدارس في كل الولايات في لوائح الدروس التى تدرس فيها حتى ان المتخرج من المدرسة الثانوية في الولاية الواحدة يستطيع دخول الكلية فى أية ولاية أخرى . ومدة التعليم في المدارس الابتدائية ثماني سنوات وفي المدارس الثانوية أربع سنوات ومثلها في أكثر الكليات وهذا مطرد في كل الولايات فنرى ان وراء مانشاهده من الظواهر المختلفة في أساليب الولايات المختلفة اتفاقًا كليًا في الامور الجوهرية [٢]

﴿ ادارة المدارس ﴾ فى كل ولاية مدير للمعـارف تختلف كيفية تعيينه لمنصبه باختلاف الولاية ففي بعضها ينتخب انتخابًا

---

(١) كتاب السشمان السنوى لسنة ١٩٢٢

(٢) بيان معهد التعليم الدولي نمرة ٥

وفي غيرها يعينه الحاكم أو مجلس المعارف أو مجلسا الولاية النيابيان. ويشغل هذا المنصب من سنتين الى خمس سنوات وعليه أن يقدم تقارير عن حالة المعارف في الولاية ويمتحن المعلمين المتقدمين الى مناصب التعليم وعليه أيضاً تفتيش المدارس وتوزيع نصيبها من المال والاهتمام بكل مايعود عليها بالنفع والتقدم وفي بعض الولايات مجلس معارف يعين المدير في تنظيم شؤون التعليم وادارتها

وتقسم كل ولاية الى مقاطعات في كل منها مفتش معارف ينتخب انتخاباً أو يعينه مجلس المعارف ويبقى فى منصبه ثلاث سنوات والواجب عليه في دائرته مثل الويجب على مدير المعارف في دائرته ويؤخذ على النظام الاميركى من هذا القبيل ان المدارس في المقاطعة الواحدة كثيرة وراتب المفتش لا يكفيه للقيام بنفقات عائلته فيضطر أن يهتم بعمل آخر يرتزق منه فيهمل بعض واجباته المهمة. وتقسم المقاطعات الى أقسام صغرى ومن هذه الاقسام المدن التى لها نظام خاص لاتساعها وغني مجالسها البلدية

التعليم في جميع الولايات اجباريّ لكل الاولاد الذين عمرهم بين الخامسة والثامنة عشرة [١] وقد ذكرنا هذا السن مع انه يختلف قليلا باختلاف الولاية لانه السنّ المعتمد عليه في تقارير مجلس المعارف الاعلى [٢] . وقوانين التعليم الاجباري لا تشمل كل يوم

(١) جاء في كتاب السشمان لسنة ١٩٢٢ ان التعليم في ولاية فاوريدا ليس اجباريا
(٢) تاريخ التعليم لسيلي

من الفصول الدراسية كما في ألمانيا فيتخلف بعض الاولاد عن الحضور إما ليلعبوا أو ليعملوا فيأفون اللهو أوالعمل ويرغبون عن الدرس

﴿ المدارس ﴾ المدارس الابتدائية ومدتها على الغالب ثماني سنوات يتلقى فيها التلميذ اللغة الانكليزية قراءة وكتابة وإملاء وإنشاء ويتلقى أيضاً علم الحساب والجبر (ومبادىء الهندسة في بعضها) والجغرافية وتاريخ الولايات المتحدة ومبادىء العلوم الطبيعية على أسلوب عملي ومبادىء الفسيولوجيا وعلم الصحة . وساعات الدرس فيها خمس يوميا ماعدا السبت والاحد . ويحظر في هذه المدارس التعليم الدينى انما يفتتح العمل كل يوم بقراءة فصل من التوراة وترنيم ترنيمة روحية وتلاوة صلاة مختصرة . على ان قوانين المدرسة وأخلاق المعلمين ومعاملتهم الاخوية للتلامذة تربي فيهم الطاعة والنظام والتدقيق والمحافظة على الوقت واحترام المواعيد وما أشبه من الاخلاق الفاضلة التى تكون الخلق الاميركي . ويتعلم البنون والبنات في هذه المدارس معـا . وقد عم هذا النظام كل المدارس حتي العالي منها فمن ٣٣٠ معهداً للتعليم العالي ٣٠٣ معاهد يتعلم فيها الجنسان معا [١]

---

(١) ومما يحسن ذكره في هذا الصدد ان الجامعة الاميركية في بيروت أباحت انتظام البنات فى عداد تلامذتها في الدوائر الطبية وفرع المتخرجين

﴿المدارس الثانوية﴾ ومدتها أربع سنوات يتلقى فيها التلميذ من اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسوية والالمانية (درس بعضها اختيارى) ومن العلوم الهندسة والطبيعيات والكيمياء والجغرافيا الطبيعية والفسيولوجيا والبيان والتاريخ وآداب اللغة الانكليزية .

وقد كانت الامتحانات التى تطلب الكليات اجتيازها من كل الذين يريدون دخولها عقبةً في سبيل كثيرين من خريجي المدارس الثانوية لصعوبتها فألغيت وتم الاتفاق على رفع مستوى التعليم في المدارس الثانوية حتى يصبح التلاميذ المتخرجون منها قادرين على القيام بكل ما يطلب منهم حسب برنامج الكلية

﴿الكليات﴾ ومدة الدرس فيها أربع سنوات يتلقى فيها التلميذ ما يختاره من فروع التعليم العالي التى يراها أفيد له في مستقبله مع بضعة دروس اجبارية تحسبها عمدة الكلية ضرورية . والتلميذ الذى ينهي السنة الاولى والثانية فى الكلية يقابل بوجه عام التلميذ الحاصل على شهادة الليسه في فرنسا أو البكالوريا المصرية

﴿الجامعات﴾ الجامعة من الجامعات الاميركية مؤلفة من كليات كثيرة ككليات الفنون والاداب والطب والحقوق والصيدلة وطب الاسنان واللاهوت والهندسة على أنواعها والتجارة . وفى جامعة كولمبيا بنيويورك كلية لتدريس علم الصحافة تعرف بمدرسة

بلترز الصحافية و بلتزر هذا هو صاحب جريدة الورلد من الذين اثروا من الصحافة وأصله مجري" لم يدخل اميركا إلا بعد أن تجاوز الثامنة عشر من العمر ســبح من الباخرة الى الرصيف ليفلت من مديري المهاجرة

ولا يحق للتلميذ أن يدخل احـدى كليات الجامعـة مالم يتم دروس السنتين الاولين في كلية الفنون والاداب . وفي كل ولاية من الولايات جامعة تقوم على نفقات الحكومة والتعليم فيها مجاني لابناء الولاية وعلى غيرهم أن يدفعوا رسما قليلا . وهناك أيضا جامعات اميركية كجامعة هرفرد التي درس فيها الرئيس روزفلت وجامعة برنستون التي درس فيها الرئيس ولسن ودرس فيها وتولى رآستها مدة وجامعة يايل التي درس فيها الرئيس تافت

﴿ المعلمون ﴾ بلغ عدد المدرسـين في الولايات المتحدة ٨٠٥٩٣٣ سـنة ١٩٢١ منهم ١٧٧٥١٦ معـلما و ٦٢٨٤١٧ معلمة وسبب كثرة المعلمات ان اكثر القائمين بأمر التدريس في المدارس الابتدائية نساء

وهناك مدارس خاصة لتعليم المعلمين ولكنها غير كافية لتجهيز العدد الكافي الذي يحتاج اليه البلاد سنوياً إذ في كل سنة يستقبل عدد كبير من المعلمين والمعلمات يربى على ١٠٠٠٠٠ معلم [١] لان

Seeley History of Eduestiou (١)

وظيفة المعلم غير دائمة وأولياء الامور في أنحاء البلاد شاعرون بذلك وقد أخذوا يهتمون بتكثير المدارس التي تعدّ المعلمين لعملهم ولكن ذلك لا يتم قبل أن تسن الحكومة قانونا يجعل منصب المعلم دائما لا يقال منه إلا لاسباب معينة وتعين له راتبا كافياً لمعيشته ومعيشة بيته . إذ ذاك يقبل هذا العمل كثيرون من ذوى المواهب السامية فيفيدون أمتهم ببث روح العلم والتهذيب الحقيقي



فنون السياسة الاميركية

جلس السياسي الشيخ في غرفته ، يعيد ذكرى أيام مضت ، كان فيها جنديا باسلا حارب في صفوف الساسة الاميركيين الكبار فسار في مراقي الفلاح حتى بلغ المراكز الرفيعة في البلاد ولما شعر بوهن في عزيمته ، اعتزل الاعمال ليريح الجسم من الوصب والعناء

جلس يفكر . وإذا بجرس غرفته فأذن للقارع بالدخول، فدخل شاب طويل القامة قوى البنية طلق المحيا يبسم للدهر بسمة النصر والظفر. فحيا السياسي الشيخ وقال بصوت أودعه كل ما في نفسه من معاني الاحترام والاجلال

أنا شاب دخلت معترك السياسه ولا أريد ان أرجع بالخيبة والخذلان ، فجئتك ، وقد دلني عليك بعض أصدقائي المخلصين ، أتزود منك النصائح الثمينه والارشادات الحصيفة حتى اتمكن من السير في هذا المعترك الهائل وانا واثق بالنصر موقن بالظفر . فهل لك ان تجود عليّ بأرائك الغالية ؟

فأطرق الشيخ مفكراً ثم رفع رأسه ونظر الى الشاب نظراً حاداً وقال :

لا شك أن السياسة اليوم غيرها بالامس ، ومشاكلها في هذا العصر تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه منذ بضع سنوات لان العالم يتغير تغيراً مستمراً ولكن القواعد الاساسية واحدة وليس الشأن لماهية المشاكل بل كل الشأن لما يقوله عنها السياسي وهذا لا يتغير مطلقا . فاذا أردت أن تفوز بمنصب ما ، وجب ان تقنع الناس بأنك أميركي المبدأ قلبا وقالبا ، أميركي صميم لا تشوب مبادئك الوطنية شائبة . فبدت على وجه الشاب امارات الحيرة والارتباك وقال :

ما هي المبادىء الاميركية وكيف يمكنني أن أصير أميركيا صميما ؟

فرفع الشيخ قبضته وهوى بها على الطاولة بشدة وقال :

أتطمح للحصول على المناصب الرفيعة والتقدم فى معارج الفلاح السياسي وتسأل عن هذه الامور البسيطة ؟ احذر من أن تهمس بمثل هذه الاسئلة حتى ولا لنفسك لانك إذا فعلت ذلك ارتاب بك الجمهور فخسرت الاصوات وقت الانتخاب . قل أنك أميركي حر ، أميركي المبدأ والنزعة ، أميركي صميم ، وان مزاحمك ليس كذلك . قل لهم انه لو بعث واشنطن أو لنكان

أو جفرصن وارادوا أن يقيسوا مزاحمك بمقياس الاميركية الحقيقية ويزنوه بميزان الوطنية الصادقة لوجدوه ناقصا . وإذا وعد مزاحمك الجمهور وعداً ما فقل لهم أن ذلك الوعد مناف لمبادىء الجمهورية الاميركية العظمى وان ما تسعى اليه أنت يتفق تمام الاتفاق مع مبادىء رجالنا وساستنا الذين اخلصوا فى سبيل هذه البلاد الخدمة والعمل .

هنا توقف الشيخ قليلا للراحة ثم استأنف كلامه قائلا : — لو كنت مزاحمي وسألت ذلك لقلت للجمهور . انظروا يا قوم ! ان هذا الرجل لا يعرف ما هي المبادىء الاميركية الصميمة . أفيجوز أن يشغل منصبا سياسيا في بلاد واشنطن وانكلن وروزفلت . وانى لا أشك مطلقا فى ان النصر يكون حليفي

فأخذ الشاب ينظر الى ما حواليه قلقا لئلا يكون أحد مخبرى الجرائد قد سمع الحديث وقال. ارجو أن تخفض صوتك ياسيدى لقد فهمت ما ترمى اليه . فبماذا تشير عليَّ أيضا ؟

فقال له الشيخ : — يجب أن تكون مشهراً ماهراً . تيقظ وانتبه ومتى رأيت أمراً يكرهه الجمهور ناد بضرره على المنابر وشهر بالقائمين به وخطئهم وفند أقوالهم فتستهوى الجمهور ويرى فيك الشعب محاميا عن حقوقه مدافعا عن مصالحه . فاليوم تقدر أن تنادى باضرار البولشفية وما جره غلاء المعيشة على الشعب

من المصـــائب والويلات . ولا تنس أنك إذا أردت أن تكون سياسيا كبيرا يجب الا تهتم كثيراً بقوانين المنطق ونواميسه

ثم انتصب على رجليه كأنه واقف أمام جمهور كبير في احد الاندية السياسية وقال مخاطبا ذلك الجمهور الخيالى :

أيها السادة في هذه الجمهورية بل في هذه الولاية بل في هذه المدينة حركة فوضوية غايتهـا قلب نظام الحكومة رأسا على عقب وامتهان دستور الجمهورية الدمقراطية الحر ونسف البيت الابيض مركز رئيس حكومتكم الدمقراطية . فما هو موقفنا ازاءها ؟ لنقتد بما كان يفعله واشنطن او لنكان او روزفلت لو كان احدهم بيننا اليوم ولنحطم الراية الحمراء كلما ارادت الظهور

نعم. نعم. فهمت : اني اشكر لك هذه النصائح والارشادات من صميم الفؤاد ولكن لدى مسألة اخرى اشكل علىّ امرها فارجو ان تساعدني على حلها. لنفرض اني انتخبت لمنصب ما فماذا يجب ان افعل لارشح لمنصب أعلى منه ؟

فقال الشيخ باسما : يا صديقى العزيز جرّب أن تقنع الشعب أنك من المدافعين عن حقوقه ، الغيورين على مصالحه . نظم حملات شعواء على غلاء الاسعار ومبادىء البولشفية وغيرها من الامور التي ينظر اليها الجمهور بكره شديد واعلم ان الامر المهم في كل هذه الحملات هو أن تبدأها بضجة عظيمة وتنهيها بصوت خافت يمتزج

بصوت الضجة التى تبدأ بها حملتك الثانية . ارسل البرقيات الى بعض الرجال المعروفين الذين يقع عليهم اختيارك وعين محل الاجتماع وتاريخه وحينما يلتئم المؤتمر قم فيهم خطيباً وقل لهم: انا مجتمعون اليوم للبحث في مسائل خطيرة الشأن . والواجب الوطنى يقضى عليكم ببذل ما في وسعكم لتخفيض أسعار الحاجيات وغلاء المعيشة التى أزهقت نفوس العباد . مصالح الجمهور فى أيديكم وزنات غاليات فاستعملوها بحكمة وسداد . فتصدر الجرائد فى اليوم التالى مطنطنة بهذا المؤتمر وغايته الشريفة ويذكر إسمك على صفحاتها الاولى بأحرف كبيرة فيعرفك الجمهور عاملا على اصلاحه وتحسين أحواله . وبعد أن تلقي خطابك الافتتاحى انسحب من المؤتمر بلباقة واسع لتنظيم حملة سياسية على مبادىء البولشفيين متبعاً الخطة المتقدمة . وحينما تنتهي من هذه هيىء حملة أخرى على التجار الذين لا يرحمون . ولا تترك للشعب مجالا ليفتكر بغلاء المعيشة لانه إذا تسنى له أن يفعل ذلك ظهر له أن الاسعار لا تزال كما كانت فتخسر مركزك الرفيع الذى حصلته بالسهر والتعب والاجتهاد فكان لهذا الكلام وقع عظيم في نفس الشاب فشكر الشيخ وقال :

ولكن ألا تظن أن الناس يكرهون الذى يشهر ويخطيء دائما ألا يحتقرون الذي لا ينظر الى الامور إلا من وجهها الاسود فلا يقر له قرار ولا يهدأ له روع إلا بالتنديد والانتقاد

ولكن يا عزيزي حسبتك قد فهمت مرامي كلامي يجب أن تسحر العقول برقة الفاظك وانسجام عباراتك وتختلب الالباب بلطفك وأنسك . يجب أن تلقى في كل محفل خطابا مناسبا له فلا تنتقد التجار والمتمولين حين تخطب في غرفة التجارة بل شهر فيها بمبادىء البولشفيين العقيمة وسياسة رجالهم الخرقاء . ان الانسان بطبيعته يحب الانتقاد والتهكم على أن يرى سهام الانتقاد مصوبة الى غيره وكلام التهكم منها لا على سواه . أطر الذين يصغون اليك وقل لهم انه لولا مساعدتهم لما تمكنت الولايات المتحدة من بلوغ مركزها الرفيع بين الامم الراقية . قل لهم انهم في فاتحة عصر جديد وانه لابد أن يأتي يوم يسير فيه المتمولون والعمال كالاخوان فيتعاونون ويتعاضدون على تأييد علم الحرية ورفع منار الدمقراطية فتنبض قلوبهم نبضات الفخر والاعجاب ، فيسرون ولو كانوا هم المنتقدين ويخرجون والابتسام على ثغورهم مكبرين من يبذل الوقت والمال لرفع منزلتهم معظمين من يهتم بالدفاع عن حقوقهم .

فوقف الشاب وقد اكتفى وقال : — انى ارفع لك شكري الجزيل . هل لديك نصيحة أخرى ؟

نعم اذا طلب اليك المصورون أن يصوروك لاعباً مع ابنك الصغير فاقبل طلبهم شاكراً لان الشعب يتوق الى الوقوف على معيشة زعمائه البيتية وابسم دائما لمخبرى الجرائد ولكن احذر من أن

تصرح أمامهم بارائك الخاصة بل اعمد الى الابهام والتعميم لئلا تندم في حين لا ينفع الندم

مساء الخير يا سيدي . أشكر لك لطفك وأنسك . انك بالحقيقة اميركى صميم ووطنى لا تشوبه شائبة

فضحك الشيخ وقال : ـــ مساء الخير ايها الصديق، لا شك انك ستنجح فقد بدأت بالمرانة منذ الآن



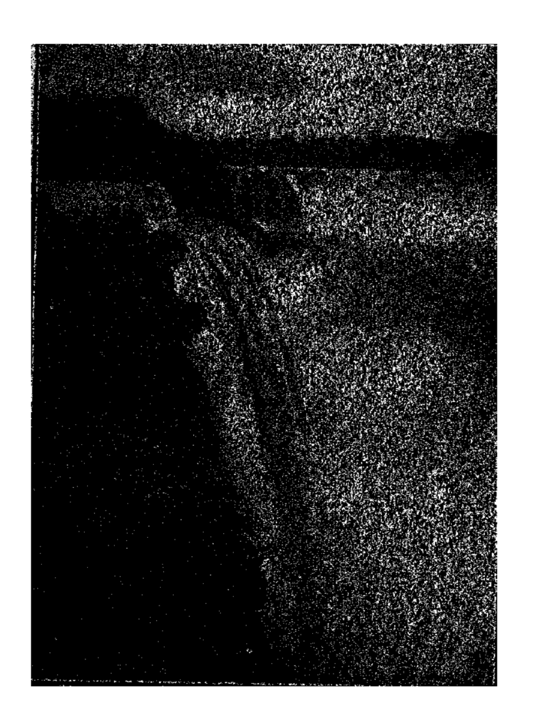
الراديو والسنما الناطقة

قال أحد مشهوري المستنبطين — وأظنه مركوني — ان هذا العصر يجب ان يدعى « عصر تموجات الجواهر » وذلك لان المذهب الجديد فى بناء المادة يكاد يحقق آمال القدماء بوجود حجر الفلاسفة الذي يغير العناصر الى ذهب أو بعضها إلى بعض . وقد ثبت فعلا ان الدكتور ميت الالمانى حول الزئبق إلى ذهب ومن الامور المعروفة عند المطلعين على المباحث الطبيعية ان الراديوم يتحول الى رصاص بعد مايتم انحلاله. أما التموجات القصيرة اللطيفة فهي في عرف العلم مصدر كل قوة أو سبيل الى انتقالها في الفضاء فالنور تنقله الى عيوننا أمواج الاثير حسب الرأى الذائع الان ، والصوت تنقله الى آذاننا أمواج فى الهواء وأعجب من هذه وتلك الامواج الكهربائية السلكى منها واللاسلكي . التي استعملت في كثير من المستنبطات الشهيرة كالتلفون والتلغراف . ولا يخفى أن مركوني جرى فى أثر من تقدمه من كبار الباحثين فى التموجات

الكهربائية كهرتز الالماني فاستنبط جهازاً ينقل به الاشارات التلغرافية من غير موصل ثم جاء بعده دهفرست الاميركي فاستنبط الانبوب المفرغ فصار من المستطاع نقل الصوت الانساني ألوف الاميال يجلس الانكليزي في داره بلندن ويدير زراً صغيراً فيدور آلته اللاسلكية حسبما يريد وإذا كان الجو صافياً والهواء راكداً تمكن من سماع خطيب يخطب في نيويورك أوجوقةموسيقى تعزف في دار الاوبرا فيها فيرقص اذا شاء على الالحان التي قطعت ما يزيد على ثلاثة آلاف ميل في أقل من لحظة من الزمان

* * *

الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثون . كنت في نيويورك في دار قريب لي وقد دوزنا آلة الراديو على محطة .W. E. A. F وهي المحطة التي أعلنت الصحف عنها بانها ستذيع خطبة الرئيس كولدج في قبول الترشيح للرآسة عن الحزب الجمهوري . الخطبةفي وشنطون وانا في نيويورك مسافة لا تقل عن ٤٠٠ ميل . جلست وقلبي يخفق خفقان الانتظار لاني كنت قد قرأت كثيراً عن هذا الضرب من التخاطب ومبادئه العلمية ولكن لم أسمع صوت أحدينقل به من قبل . فجعلت أسائل نفسي ترى أيكون الكلام واضحا أو احتاج في فهمه الى اجهاد المخيلة وقوة الاصغاء



شلالات نياغرا

اليمين: شلال الحدوة بكندا   الشمال : الشلال الاميركي

وإذا صوت واضح يتكرر كالصوت الذى نسمعه حين نرفع سماعة التلفون ٠ررر ٠٠ررر٠٠ ررر ٠ هالو ٠ هالو ٠ W. E. A. F W. E. A. F ـ وإذا رجل أجش الصوت يقول هذه منتدى بنات الثورة الاميركية وسرد تاريخه ٠ لقد اكتمل عقد المدعوين وبلغنا الان ان الرئيس ترك البيت الابيض. كلام واضح كل الوضوح اكل نبرة فيه جلية حتى اني أخذت مجلة وجعلت أقلب صفحاتها انظر إلى صورها وأنا أصغى إلى ما يقوله هذا الرجل مقدمة لخطب الحفلة

وإذا المكان يدوى بالتصفيق الحاد والهتاف المتواصل فقلت وصل الرئيس وإذا حركة غير اعتيادية يعرفها الذين يحضرون اجتماعات كبيرة كهذه حالما يدخل المحتفى به فيقف الجمع احتراما للقادم

سكن الجمع وهدأت عاصفة الهتاف والتصفيق واعتلى الرئيس منصة الخطابة ووقف رئيس الحفلة يقرأ بيانها ٠ ما هذا أنا على ٤٠٠ ميل من هذا الاجتماع أم انا فى النادى نفسه ولكن عيني قد اغمضتا فلا أرى شيئا بل أسمع كل شيء وأحس كل شيء

ثم نهض المستر بطلر رئيس جماعة الحزب الجمهورى يعلن المستر كولدج اختياره مندوبا عن الحزب للرآسة وكان كلامه واضحا كل الوضوح وما كاد ينتهى حتى نهض الرئيس فكانت

مظاهرة عظيمة امتزج فيها التصفيق والهتاف حتى كدت أرى بعين الخيال رمى القبعات إلى سقف الغرفة على نحو ما يفعل الاميركيون في مثل هذه الاحوال. ولما هدأت الجلبة قليلا ارتفع صوت يقود الجماهير هاتفا ليحيى « المستر كولدج » وكان في الغرفة معنا من عرف صاحب هذا الصوت فقال هذا هو المستر هيوز ولما ظهرت جرائد الصباح الثانى جاء ما فيها مصداقا لقوله

وخطب الرئيس كولدج خطبة ضافية استغرقت ساعة ونصف ساعة فصل فيها بيانه الانتخابي فأصغيت اليها من أولها إلى آخرها من غير ضجر ولا ملال حتى ومن غير إجهاد على الاطلاق في فهم كلماته لان صوته الرنان وأسلوبه الكتابي يتفق مع اصول الاذاعة جمله قصيرة فلا يضيع التمهل في قراءتها شيئا من تأثيرها ولا يقطع على ذهن السامع ما فيها من تسلسل الافكار

ما كنت قبل اليوم لارتاب في حقائق العلم الثابتة ولكنى في تلك الليلة أدركت ما في الكون من الغرائب ولمست بيدى وسمعت باذني سراً من الاسرار وقوة من القوى التى جعلها العقل الانساني رهن اشارتنا ، ولا عجب اذا كان لهذه القوة الشأن الاول فى العمران الحاضر والمستقبل . انظر اليها كيف يستعملونها في نقل الاخبار المختلفة واسعار أوراق النقد والمحصولات ، وكيف يذيعون بها الخطب والالحان والاغانى والمواعظ والاعلانات والمحاضرات

العلمية . ان كثيراً من المعاهد العلمية الاميركية تفكر الآن في توسيع مجال عملها حتى تتصل بالذين لا يستطيعون حضور فرقها فتنظم خطباً علمية في أوقات معينة تذاع باللاسلكي حين لا يكون العمال في عملهم فيكبون على التحصيل من هذا السبيل ولا يسمح للفقر ان يقف عثرة في سبيل ارتقائهم الفكري والعلمي

وكان أول سبتمبر في نيويورك شديد الحر كثير الرطوبة يزهق النفوس ولكن « بلمونت بارك » كانت تموج بالجماهير التي وفدت عليها لحضور سباق الخيل الشهير بين الحصان الفرنسوى ابينار وأجود الخيل الاميركية وكنت أريد حضور هذا السباق فلم استطع لان الحرّ كان شديداً والمسافة بعيدة . فذهبت الى حانوت بقال قريب من المكان الذى كنت أسكن فيه لاشترى مجلة فاذا آلة راديو في حانوته فقلت الى أى شيء تصغى فقال الى نتائج سباق الخيل في بلمونت بارك فوقفت أصغى أيضا واذا المراقب الذى يذيع النتائج يقول شيئا على النمط التالى :

ابينار ثالث الآن وهو سريع في تقدمه الى الصف الاول . «زف» تقدم عليه ولكن آثار التعب بادية في جريه «لادكن» له أمل كبير لقد عطف العطفة الثانية بمنتهى السرعة . هذا ويزكونسلر يتقدم ولا يزال يتقدم . ابينار ثان الآن لقد حاذاه ويزكونسلر . اقترب من القصب . ويزكونسلر فاز بطول كامل

ترى مما تقدم ان الذى يصغى الى ما يذاع بالراديو عن هـذا السباق كان وافياً بمرام الذين لم يدفعهم حب المشاهـــدة الى الذهاب لمشاهدته . وما يقال عن سباق الخيل يقال عن كل الالعاب الرياضية سواء فى الملاكمة أو التنس أو البايس بول أو غيرها

ومما يقرب من الراديو كالصورة المتحركة الناطقة . وذلك أن مستنبط الانبوب المفرغ الذى حل عقـدة التخاطب اللاسلكي استنبط وسيلة تمكن بها من تدوين صور الممثلين وأصواتهم على شريط واحد . وحين ادارة هذا الشريط تحول الصور والامواج الصوتية المـــدونة الى صور على ستارة السنما واصواتاً تتفق مع حركات أصحابها

كنت سائراً في أواخر سبتمبر في شارع ٤٢ أمام بناية التيمس فوجهت نظرى إلى أعلى باب أحد المراسح المعروف «بالريالتو» وإذا اعلان مكتوب بحروف كبيرة وعنوانه الفونوفلم أي الفلم الناطق وكنت قد قرأت عن المبدأ العلمي الذى بنى عليه فدخلت لارى على أى وجهة تنطبق الحقيقة على الاساس العلمي . واذا المستر كولدج يبرز أمامنا وفي يده أوراق خطبته الرسمية التى ذكرتها سابقا وجعل يتلو منها ونحن نسمع الصوت وهو نفس الصوت الذى سمعته في الراديو قبيل ذلك . والكلمات تتوافق مع حركة الرأس والشفتين

واليدين حتى انه لما بلغ في خطبته الى عبارة «الحكومة الاميركية يجب أن تكون نظيفة كنت ترى على شفتيه كل كلمة منها »

فهذا الاستنباط متى اتقن وجمع بينه وبين مبـــدأ الاذاعة اللاسلكية صار من الممكن ان يجلس الانسان في بيتــه فيرى فرقة تمثل رواية «أوپرا» ويصغى الى أغانى الممثلين فيها وهو جالس في بيته وليس امامه سوى آلة صغيرة وقد تكون بسيطه التركيب أيضا

حقا ان هذا العصر هو عصر « تموجات الجواهر»



نظرات فى الحضارة الاميركية

الحضارة الآلية

إذا صحَّ أن ارتقاء الشعوب يقاس بزيادة الآلات التى تحل محلّ العمل اليدوي فتحرر الناس من ربقة الاستعباد لقضاء الاعمال التى تستطيع الآلات قضاءها فينفقون أوقاتهم في الاعمال التى تحتاج الى قوة التفكير والارادة والتنظيم — اذا صح ذلك فالشعب الاميركى فى مقدمة الامم رقيًا وحضارة

أني سرت وأنى نظرت لا تقع عيناك إلا على آلات تقوم مقام العمال . ففي محطات النفق آلات بسيطة على شكل دولاب تقوم مقام بائعي التذاكر والمفتشين وعلى الارصفة وفي دور السينما ترى الآلات الصغيرة التى تبيع الشكولاته والحلويات على أنواعها وليس عليك الا أن ترمى قطعة نقود فى شق صغير فتحصل على ما تريد منها وفي المطاعم التي تعرف «بالكافيتيريا» لا ترى خدما ولا حشما بل شقوقا صغيرة ترمى فيها قطعة نقود فيمتلىء فنجانك لبنًا أو

شاياأو قهوة أو يفتح أمامك صندوق فيه الطعام الذى تروم ، وفي غرف التلفون العامة ترمى قطعة من النقود وترفع السماعة فاذا بك على اتصال مع السنترال فتطلب النمرة التى تريد فاذا أجابتك النمرة أدارت عاملة السنترال آلة أمامها تقيّد النقود التى دفعت وإذا لم تجبك النمرة المطلوبة أدارت العاملة آلة أخرى فترجع اليك نقودك وقد تكون على عشرات الاميال منها. واذا دخلت الترامواى ودفعت الاجرة العادية قيدت من نفسها في عدّاد كهربائى في طرف العربة واذا ذهبت تشتري تذاكر من مسرح أو دار صور متحركة فلا تدفع النقود حتى تضغط العاملة على زر أمامها فتنفض التذاكر فجأة كأن يداً عاقلة قطعتها . واذا حولت وجهك شطر البيت وجدت فيه مالا يحصى من الآلات الصغيرة والمستنبطات المدهشة التي تغنى السيدة عن الخدم ـ وهم قليلون جداً فى أميركا ـ فتقوم بترتيب بيتها وتنظيمه فى أقل ما يستطاع من الوقت والتعب

هذا من حيث الآلات الصغيرة التي يشاهدها المسافر كل يوم وفى كل مكان ولكن ماذا أقول عن المعامل الكبرى . فلقد وصفت في الفصول السابقة معامل فورد وبناية النيويورك ففى الاولى آلات تغنى عن ألوف العمال وفى الثانية آلات صغيرة وكبيرة ومستنبطات لو شئنا أن نستعمل لها عمالا في جرائدنا لما اكتفينا بمئات الاولاد والخدم . أدخل أى مكتب أو أى ادارة كبيرة فلا

تجد في واحدة منها مستخدمين يضيعون الوقت لقلة عـُدَد التلفون في المكتب فقد سبق معنا أن في ادارة نيويورك تيمس ٣٠ خطا تلفونيا خاصة بالاعلانات القصيرة

واذا استطلعنا فلسفة هذه الحضارة الآلية وجدنا الاميركيين صار لهم قاعدتان في كل أعمالهم يسيرون عليها وهي سرعة انجاز العمل وتوخى الكمال في كل ما يعملون

الاميركي يحب السرعة لانه بها يفتدي الوقت والوقت في عرفهم من ذهب بل هو أغلى من الذهب وأثمن قيمة لانه لو كان سلعة تباع كمختلف السلع لكان الاميركي المجتهد يشتري وقت الخمول في رخص ويبيعه في غلاء ويكون في ذلك من الرابحين . ولكن ذلك يستحيل لان وقت الخامل لا يسوى مليما لان فائدته لاتقاس بالساعات والايام . لذلك ترى الاميركيين يقولون « الوقت وقت» أي يجب أن نجعل كل ثانية أحفل ما يمكن أن تكون بما هو نافع ومفيد . وهذا سر السرعة في أعمالهم وملاهيهم

نيويورك تلهو

اذا ضاق صدرك من السير بين شاهقات المباني التي تكاد تحجب عنك الشمس والهواء الطلق والجو الرحيب ، وصمّت آذانك من قرقعة السيارات وأصوات أبواقها وازدحام المناكب على الارصفة فاتخذ لك مكانا قبيل الغروب في الدور العلوي من

احدى سيارات الاجرة الكبيرة التى تسير على ضفة نهر الهدصن في طريق يعرف بنزهة شاطيء النهر . هذا المتنزه شارع فخم عليه دلائل الثروة والترف يسير متعرجاً على ضفة نهر الهدصن اليسرى فتجتمع للسائر فيه أطايب الحياة الثلاث على رأي العرب المـــاء والخضرة والشكل الحسن يضاف اليها مناظر مبانى السكن الفخمة الباذخة التى شادها الاميركيون على قواعـد متينة من العلم والفن والمال الوفير

تخرج بك السيارة عنـد الشارع الثمـانين من معمعة الحياة الى نزهتها فتلقى على عينيك أفخم مباني السكن في نيويورك التى يقطنها الاثرياء وترى على يسراك صفحة فريدة من جمال المناظر الطبيعية . بر وماء وبر ثان لازوردي اللون آونة وبنفسجيه أُخرى والشمس من وراء آكام نيوجرزى تنثر على صفحات الماء الصقيلة من فيض نورها نضاراً وعسجداً . وعلى الطريق أشجار باسقة وارفة الظلال تحتها مقاعد وفي طرقاتها خلق كثير من شيب وشباب وأطفال ومن آن الى آخر تكتحل عيناك بتمثال فخم أقيم على ضفة النهر التاريخي تذكارا لحادث مجيد أو لرجل عظيم وأظهرها مدفن الجنرال غرانت بطل الحرب الاهليـة وأحد الرؤساء السابقين وهو مناوح لبعض مبانى جامعة كولومبيا الشهيرة

وتلقى مثل هذه النزهة الهادئة اذاقصدت الى الحدائق الكبيرة كسنترال بارك في وسط نيويورك وبروسبكت بارك في بروكلن وبرونكس بارك في البيرونكس وفيها حديقة للحيوانات نادرة المثيل

على ان الجمهور النيويوركي يطلب نزهة تتفق وحياة نيويورك القائمة على الحركة والسرعة والانفعال ولا يكتفي بهذه النزهة البسيطة الهادئة على شاطيء النهر أو في ظلال الاشجار

اذا فاقصد الى كوني ايلند في ليلة من ليالي الصيف وماذا ترى ؟ أتستطيع أن تتصور حريقا هائلا اندلعت فيه ألسنة اللهب تلتهم الاخضر واليابس ومايلزم ذلك من ضجة وجلبة ؟ أتستطيع أن تتصور عيداً من الاعياد الوطنية الكبرى تطلق فيه السواريخ النارية من غير حساب والناس يسيرون زرافات زرافات يهزجون ويطربون ويسكرون — اذا سمح القانون — ذلك هو الاثر الذى تتركه كونى ايلند في نفسك اذا أممتها كل ليلة من ليالى فصل الصيف — حركة وضجة وأنوار متلألئة باهرة تجعل الليل نهاراً وألوان مختلفة لماعة وألعاب وأناس من كل لون وجنس معظمهم من طبقات نيويورك الفقيرة يخرجون الى شاطيء البحر يستنشقون هواءه البليل فيملأون الاماكن التى تباع فيها أنواع الحلويات والمشروبات — بينها شراب غريب لاطعم له يسمونه «بيرا البيت» من قبيل تسمية الشيء بما كان عليه بعد أن سن قانون منع

المسكرات — ويزدحمون فى الغرف السحرية حيث المشعوذون والدجالون . أو يسيرون على الشارع الخشبي المعروف برود ؤك بنته البلدية فوق الشاطىء ويرتفع عنه بنحو مترين طوله نحو ٣ كيلو مترات وعرضه لايقل عن ٣٠ متراً ولايسمح للسيارات والعربات بالسير عليها بل هو أبداً مزدحم بتيار مصطخب من الناس كلهم يبحث عن الحركة والسرعة والانفعال — يطلبها في الملاهى لانه اعتادها فى الاعمال

الىهذا الشارع الخشبي والشاطىء الرملى الذى الى جانبه تجىء العائلات الفقيرة — ومتوسطة الحال -- فى أيام الآحاد والاعياد للتمتع بالهواء النقى ونور الشمس المنعش ، على شاطىء الاتلنتيكي — تراهم شباباً وشابات بثياب السباحة يسبحون ويقيلون ويلعبون وقد لوحت الشمس بشرتهم فأعادت الى وجناتهم نضارة اذالها العمل على نور المصابيح فى نيويورك . والظاهر ان كونى ايلند مشهورة في أوربا . فما كدنا نحاذيها فى الباخرة عند مدخل نيويورك حتى أخذ كثيرون من الركاب يشيرون الى أبراجها العالية ودولابها السحرى الضخم

* * *

واذا أردت أن تشهد مظهراً آخر من مظاهر اللهو فى مدينة نيويورك فاقصد الى شارع برودواى المعروف بالطريق البيضاء

العظيمة لكثرة أنواره حيث يتقاطع مع الشارع الثانى والاربعين فيتكون من تقاطعهما ميدان التيمس. فى تلك البقعة الممتدة من الشارع ٥٧ شمالا الى الشارع ٣٨ جنوباً أشهر مسارح نيويورك وتعرف البقعة بأرض المسارح أو « ثياتر لند » ، انك لتدهش حينما تقف فى مكان تستطيع الوقوف فيه من غير أن يدفعك الجمهور المتدفق — تدهش من ازدحام المناكب وتلاعب الانوار المتلألئة حمراء وصفراء وخضراء وزرقاء كل صاحب مسرح أو اعلان يتفنن فى انارتها واطفائها وتصوير الصور بها لكى يجذب النظر الى مسرحه أو إعلانه

واذا التفت الى السماء فقد ترى طيارة طائرة في الفضاء كتب على جانحيها الاسفلين بالمصابيح الكهربائية ، اسم رواية « الحصان الحديدى » وهو أغرب ضروب الاعلان الذى عمد اليه الاميركيون. وقد قيل لى أن أجرة الاعلانات الكهربائية الكبيرة فى تلك الجهة يقدَّر بعدد الناس الذين يمرّون أمامه في اليوم . وهؤلاء يحصون بمئات الالوف بل بالملايين لان تلك الشوارع أبداً مزدحمة بالناس حتى ولو قصدتها فى الساعة الثانية أو الثالثة أو الرابعة صباحاً — ان نيويورك لاتنام

ثم انتقل من مكانك الى أمام مسرح من المسارح الشهيرة التي تمثل فيها رواية مشهورة ترَ صفاً من الناس وقوفاً أمام بائع التذاكر

وهو يبيعهم واحداً واحداً من غير ونى أو جلبة أو دفع أو اصطدام أو تململ حتى من غير أن يحاول أحد أن يسبق غيره فكل قادم جديد يعطف في آخر الصف وينتظر مجيء دوره صابراً محتشما أديبا

وبعض الروايات تنقضى عليها سنة بعد سنة تمثل نهاراً وليلا فى مرسح واحد والاقبال عليها مستمرّ فالفلم الذى عنوانه «الوصايا العشر» وقد عرض فى القاهرة في الشتاء الماضى تحت عنوان «قمر اسرائيل» كان قد مضى عليه عشرة أشهر يعرض فى مسرح من مسارح نيويورك كل يوم من الساعة الحادية عشرة صباحا الى الساعة الحادية عشرة مساء

وقد قرأت أمس ان فلم «العربة المغطاة» اكسب اصحابه نحو مليون ريال ليلا . ورواية «المطر» التى تمثل فيها الممثلة البارعة «جين ايجلز» كان قد مضى عليها ما يزيد على سنتين ولما حضرتها كان المسرح مزدحما بالمتفرجين

الخلق الاميركي

الخلق الاميركي اساسه حب العمل واحترامه والاميركيون كلهم يحبون العمل ، رجالهم ونساؤهم، فتيانهم وكهولهم وينظرون الى من لا عمل له نظرهم الى الطفيليات التى تعيش عالة على غيرها وهم في ذلك على حق . اليس العاطل الكسل أو خمول عالة على الانسانية

يتمتع بحقوقها ولا يقوم بما عليه نحوها . أليس رأس الكسلان معملا للشيطان ؟ أليس العمل اكبر مهذب للنفوس ؟

كبار رجالهم في كل مسالك الحياة لم يصلوا الى أسمى المناصب وارفعها الا بالعمل – العمل المفيد العمل المنتج. فروكفلر و كارنجي وسايج وفورد و لنكن وروزفلت وولسن وهاردنغ وبلتزر ومورس واديصن وده فورست وكل من نبغ في التاريخ الاميركي لم يحرز المقام الذى أحرزه ولا المكانة التى نالها فى نفوس ابناء بلاده ولا الذكر العطر الذى يحفظه له التاريخ فى طياته إلا لانه قدس العمل فجعله درجة يصعد عليها الى ما هو فوقها. خذ أى رجل من رجال اميركا الكبار وابحث عن تاريخه في صباه ترَ انه كان مساح احذية أو سائق تراموای أو بائع صحف او منضد حروف او خادما في مطعم او او . وهو يفاخر بذلك ويتيه إعجابا بانه عصامي. قيل ان احدهم اراد ان يعير احد كبار الاغنياء فقال له الا تتذكر حينما كنتَ تمسح لي حذائي فأجابه ودلائل الانفة في كل نبرة من نبراته اولا تذكر ايضا اني كنت أجيد مسحه . وسواء صحت هذه الحكاية بحذافيرها ام لم تصح فان في تداولها على السنة الاميركيين دليلا على نظرهم الى العمل والعامل الامين

سئل احد كبار اليونان الاقدمين ماهو سر النجاح في الحياة فقال العمل فقيل له وما هو السر الثانى قال العمل فقيل له وما هو السر

الاخير فقال العمل . وبمثل ذلك اجاب اديصن حينما مثل ما هو النبوغ فقال «واحد في المائة وحي والهام و٩٩ في المائة عمل واجهاد»

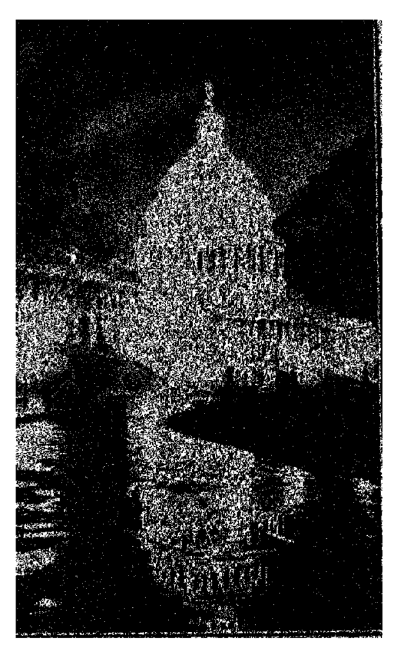
زرت في أحد الايام صديقي الشاعر البليغ ايليا أبوماضي وهو يقطن بلدة في ولاية كنكتكت تبعد نحو ساعة عن نيويورك بالسكة الحديدية وأردنا بعيد الظهر أن نطوف في جوار تلك البلدة الجميلة فجاءتنا سيارة في الساعة المعينة . نظرت الى مكان السائق فدهشت لما رأيت سائقة لا سائقاً فظننت ان السيدة صديقة الشاعر وقد تبرعت أن تطيفنا بسيارتها في تلك الانحاء ولما سألته مستفهماً قال هذه سيارة أجرة والسيدة تسوقها في ساعات فراغها

ان بلاداً يبلغ حب العمل واحترامه من أبنائها هذه الدرجة لهي بلاد حية تسير بقدم ثابتة على طريق الحياة والعمران ، لا يقف في سبيلها حائل الا وتخطت الحائل بعزم ثابت وثغر باسم

وقد صاغ المرحوم الرئيس روزفلت عبارة ستخلد في تاريخ أميركا بل في تاريخ العالم لانها عنوان الحضارة الاميركية وأعني بها عبارة « حياة الجهاد » . وقد كانت حياته أبلغ مثل عليها . فمن الاشتغال بالسياسة الى تحرير الصحف الى قيادة الجنود الى درس الطبيعة الى الرحلات والاسفار الشاقة ، حياة اقل مايقال فيها انها حياة جهاد مستمر

ولقد روت اخته المسز روزفلت حادثة عنه تظهر فيها مبادىء حياة الجهاد التى جرب أن يبثها بين قومه قالت: انه فى الانتخاب الذى وقع سنة ١٩٠٤ بقى المستر روزفلت ساهراً الى الساعة الخامسة صباحاً وبقيت هي معه يتلقيان مع اصدقائهما برقيات تنبىء عن سير الانتخابات فى جانب الرئيس سيرا مرضيا ولما كانت الساعة الخامسة وردت برقية تفيد ان الفوز قد تم ، فنهض المستر روزفلت وقد ظهرت على وجهه اماثر الاعياء والاجهاد فقالت له اخته انهض الآن واسترح قليلا فقال لا وعدت المحرر فلانا ان اكتب له بحثاً فى كتاب جديد وكل امره الىّ وموعد المقالة غداً، هاتي الكتاب لابد من انجاز ماوعدت به .

وقيل ان مراسل جريدة افرنسية ذهب الى لوس انجلوس مدينة الصور المتحركة في ولاية كاليفورنيا فقضي مدة في معامل الفرد زوكر أحد كبار المشتغلين بصنع الشريط السينماتوغرافي ولما أراد أن يغادر المعامل وجه سؤالين الى المستر زوكر ترى في الجواب عنهما السر الذى نهض بأميركا وشعبها الى المقام الاول بين الامم. قال المكاتب كيف بلغت هذه الذروة من الغنى الطائل فقال الغنى وفي لهجته اتضاع وأدب «بعمل ١٤ ساعة كل يوم . كنت أفعل ذلك لما كنت فى العاشرة من عمرى ولا ازال افعله وأنا في الخامسة والستين» فسأله المكاتب ثانية لقد اغدقت عليك نعم البارى وبلغت



الكابتول في الليل

من العمر ما يستحب معه السكون بعـد الجهاد والراحة بعد التعب فأي متى تنوي اعتزال الاعمال فكان جواب الاميركي خاتمة الحديث بينهما اذ قال « حين أموت . ان رجل الاعمال من الاميركيين يجب أن يموت في مكتبه »

قد يشك البعض في صحة الفلسفة التى بنى عليها هذا الجواب ولكن ما هي الراحة وما هي السعادة ألا يجد الرجل الذى أنفق حياته في تشييد عمل كبير كل الراحة وكل السعادة في الانصراف له غاضاً طرفه عن كل أمر آخر في الحياة . أو لسنا كلنا أسرى في سجن العادة لا نجد لذة الا في الانقياد الى اوامرها ونواهيها ، وحب العمل كالذهاب الى المعبد عادة في الانسان ولا طاقة له على التخلف عنهما بعد رسوخ العادة فى نفسه . ومن أندر النادر ان ترى اميركياً يقول ويفاخر بانه اعتزل الاعمال . ان مثـله فى ذلك مثل التلميذ الذى يقول حين يتناول شهادته « لقد اتممت علومى »

فحب العمل هو الركن الاساسي الذى تقوم عليه الرجولية الاميركية الصحيحة والتربية العملية الراقية فى البيوت والمدارس ويظهر فى مظاهر مختلفـة — في طلب الاتقان والكفاءة و سرعة الانجاز والحيوية والابتكار والاقدام وحب الجهـاد والتفاؤل — كل هذه الصفات من مميزات الخلق الاميركى وهى مظاهر لحب العمل واحترامه . « انتهى »

فهرس